التقدمي

نشرة شهرية يصدرها المنبر التقدمي - مملكة البحرين SDPA 499 العدد 205 السنة 22 - ديسمبر 2024

29 نوفمبر

اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني

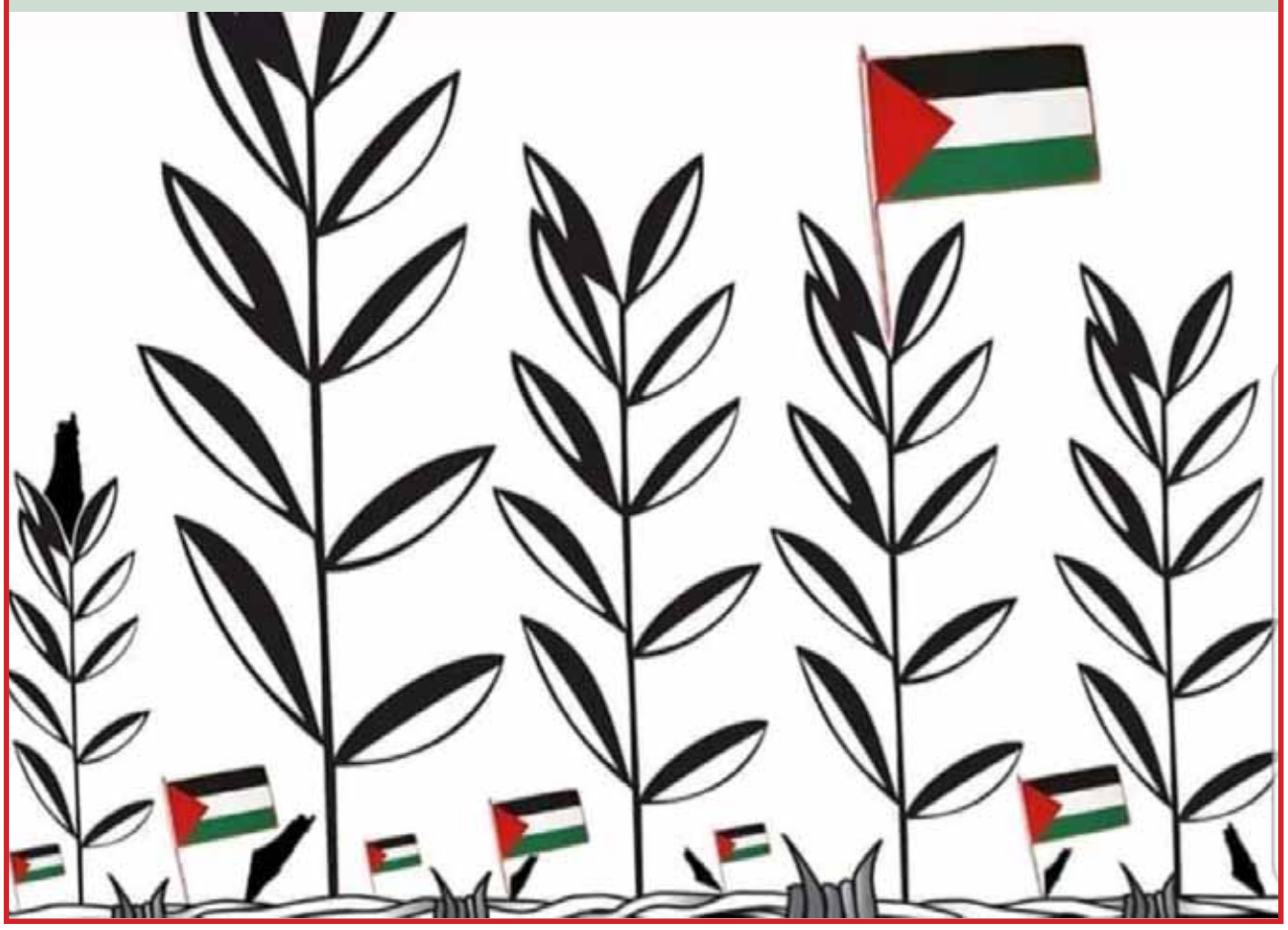

إجراءات تنفيذية غير مدروسة ونتائج مؤلمة

عـودة تـرامـب .. التـوقعـات والمخـاوف

موقفنا

مجرما حرب مطلوبان للعدالة

تضمّن قرار المحكمة الجنائية الدولية باعتقال رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو ووزير دفاعه السابق غالانت القول إن قضاتها توصلوا إلى قناعة بأن الاثنين مسؤولان عن جرائم حرب وجرائم ضد الإنسانية ومهاجمة السكّان المدنيين، بين الثامن من أكتوبر/تشرين الأول 2023، والعشرين من مايو/ أيار 2024، وتعدّ مذكّرتا اعتقالهما، بوصف المراقبين، «سابقة في تاريخ الصراع الفلسطيني الإسرائيلي»، كونها أول مرّة يواجه فيها مسؤول إسرائيلي اتهامات خطيرة من هيئة قضائية دولية، بخصوص الإجراءات التي يتخذها ضد الفلسطينيين. وقالت المحكمة إنّ قبول إسرائيل باختصاص المحكمة غير ضروري، بسبب «وجود أسباب منطقية للاعتقاد أنهما ارتكبا جرائم حرب، وأنّ ثمّة أسبابا منطقية تدعو إلى الاعتقاد بأن نتنياهو وغالانت أشرفا على هجمات على السكّان المدنيين في قطاع غزّة، تشمل: «استخدام التجويع سلاح حرب والقتل والاضطهاد و»غيرها من الأفعال غير الإنسانية». استقبل الراي العام والمنظمات الحقوقية وكل المعنيين بحقوق الإنسان هذا القرار التاريخي بترحيب كبير، فخطوة مثل هذه كانت مطلوبة وضرورية، ويُقدّر لقضاة المحكمة أنهم اتخذوها، رغم الضغوط الكبيرة التي مورست عليهم، خاصة من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، والحملة الدعائية الهستيرية من آلة الدعاية الصهيونية ومناصريها، ومن هذه الزاوية بالذات بوسعنا قراءة بعض ردود الفعل الدولية، خاصة الأميركية منها، بوصفها دليلاً ساطعاً على ازدواجية المعايير، فحين رحّبت عواصم كثيرة، في مقدّمتها واشنطن، بقرارات اعتقال الرئيس الروسي بوتين ووزير الدفاع الروسي السابق شويغو، مثلاً، من قبل المحكمة ذاتها، ثارت ثائرة واشنطن ضد قرار المحكمة باعتقال نتنياهو وغالانت، علماً أن ما اقترفه الاثنان، وما يزالان، من جرائم وفظائع في غزّة ولبنان واضحة وجليّة، ولا تقارن بما جرى في أوكرانيا.

أحد الأبعاد المهمّة في هذا القرار أنّه وجّه ضربة للسردية الصهيونية الزائفة إن إسرائيل دولة ديمقراطية، تملك قضاءً مستقلاً ونزيهاً، فالقرار يُظهر أن المحكمة لا تثق في ما يزعم أنها ديمقراطية إسرائيلية، مما اثار ردة فعل غاضبة في أوساط الطبقة السياسية في تل أبيب، بعد أن اعتقد قادتها أنّهم محصّنون ضد أي مساءلة دولية، فأصبح أهم وجهين ضالعين في مجازر غزّة مجرمي حرب مطلوبين للعدالة الدولية، ما يوقع حلفاء إسرائيل في الغرب في مأزق كبير في التعامل مع قرار المحكمة التي أرادوها أداة ضد خصومهم فقط.

التقدمي

الجمعيات السياسية تدعو إلى حماية دور النواب واحترام حرية الرأي

رفضت الجمعيات السياسية (المنبر التقدمي، المنبر الوطني الإسلامي، الأصالة الإسلامية، التجمع الوطني الدستوري، تجمع الوحدة الوطنية، الصف الإسلامي، والوسط العربي الإسلامي)، ما وصفته بمحاولات ترهيب وإسكات بعض النواب التي تحاول القيام بدورها في المطالبة بحقوق المواطنين المعيشية ومحاربة الفساد المالي والإداري والأخلاقي من خلال التهديد برفع الحصانة أو غيرها من الأساليب التي تفتقر للمتطلبات القانونية اللازمة.

وأكدت الجميعات في بيان لها إثر طلب رفع الحصانة البرلمانية عن أحد النواب، على أهمية حماية أعضاء مجلس النواب من أي أمور قد تعرقل أدائهم وتضعف من مكانة وهيبة المجلس التشريعي، وأضاف البيان بأن: الحصانة التي أوجبها الدستور للنواب ليست مجرد امتيازات قانونية، بل هي حماية أساسية لدورهم في المجلس، وتمكين لهم للقيام بمسؤولياتهم الرقابية والتشريعية كما ينبغي، دون خشية من أي ضغوط أو ممارسات خاطئة قد تعرقل جهودهم.

ودعت الجمعيات السياسية إلى ضرورة احترام هذه الحصانة وعدم رفعها إلا وفق المتطلبات القانونية المعمول بها. فكل محاولة لانتقاص هذه الحصانة أو المساس، تؤثر سلباً على قدرة النواب في الدفاع عن مكتسبات المواطنين ومصالحهم.

وطالبت الجمعيات: مجلس النواب بحماية أعضائه وضمان حقوقهم في ممارسة دورهم والتعبير بكل حرية عن آرائهم تجاه مختلف القضايا الوطنية وفي مقدمتها القضايا المعيشية التي تهم المواطنين، والعمل على تحقيق المزيد من المكتسبات للوطن والمواطن، ومواجهة كل ما يمس حقوق المواطنين في ظل التحديات التي تواجه المجتمع.

وقال البيان بأن: حرية الرأي والتعبير يضمنها الدستور والقانون وهو أمر بالغ الأهمية لتعزيز المشاركة الفعّالة للمواطنين في الحياة السياسية والاجتماعية، والتضييق على هذه الحرية لا يهدد الأفراد فحسب، بل يضعف المجتمع بأسره، ويفقده القدرة على التطور والنمو من خلال تنوع الآراء والأفكار.

ندوة بالتقدمي لمناقشة قانون الجمعيات الأهلية:

دعوة لتحديث التشريعات وتعزيز العمل المجتمعي

نظم ملتقى التقدمي ندوة بعنوان «قانون الجمعيات الأهلية... والتطلعات المشروعة»، ألقى فيها الأستاذ محمد حسن العرادي كلمة تناولت أبرز احتياجات الجمعيات الأهلية ودورها في التنمية المجتمعية، مع التركيز على ضرورة تحديث قانون الجمعيات الحالي لمواكبة تطورات العمل الأهلي.

استهل العرادي حديثه بالتأكيد على أهمية إطلاق وزارة التنمية الاجتماعية ورش حوارية لصياغة قانون عصري يراعي خصوصية مختلف القطاعات الأهلية، من جمعيات خيرية ومهنية وحقوقية ونسائية. وطرح قائمة بالحاجات الأساسية لهذه المؤسسات، أبرزها: إنشاء اتحادات نوعية للتنسيق والتعاون في تنفيذ برامج مشتركة، وتوسيع أفق التعاون الدولي مع الشركاء الإقليميين والعالميين، وتعزيز الانضمام للاتحادات الدولية لتطوير الخبرات والمؤهلات، وإيجاد مصادر تمويل بديلة لدعم الأنشطة بشكل مستدام، وتنظيم واستضافة مؤتمرات متخصصة والمشاركة الخارجية، وتشجيع الشراكة مع القطاع الخاص دون قيود صارمة، وتسهيل جمع المال وتسريع إجراءات الترخيص، وتمكين الجمعيات من الإغاثة الإنسانية أثناء الكوارث، خصوصًا في الدول العربية والإسلامية.

كما تناول العرادي قانون الجمعيات الحالي (المرسوم بقانون رقم 21 لسنة 1989) مشيرًا إلى أنه بات غير ملائم للتطورات الراهنة، حيث قال: «لقد شرب عليه الدهر وأكل، وأصبح من الضروري مراجعته، وربما

استبداله بقانون أكثر حداثة».

واقترح العرادي إعادة هيكلة القانون لتتناسب مع خصوصيات القطاعات المختلفة، بدلًا من فرض نفس القواعد على الجمعيات النسائية والمهنية والرياضية وغيرها، قائلاً: «لا يمكن معاملة جميع هذه القطاعات بمسطرة واحدة».

وشدد العرادي على أهمية تحويل العمل الأهلي إلى مؤسسات اجتماعية غير ربحية قادرة على إطلاق مشاريع مجتمعية مدرة للدخل، وتوظيف كوادر مدفوعة الأجر، مؤكدًا أن الاعتماد المستمر على المتطوعين فقط يحد من كفاءة العمل الأهلي. كما دعا إلى الاستفادة من المتقاعدين المؤهلين لتطوير الجمعيات وتعزيز استمراريتها.

واختتم العرادي بدعوة الجهات الرسمية إلى تسريع الخطوات نحو إصدار قانون جديد، يفتح آفاقًا جديدة للعمل الأهلي، ويستجيب لتطلعات المجتمع المدني.

التقدمي: أهمية تطوير تشريعات الحماية من العنف الأسري في البحرين

أكد قطاع المرأة بالمنبر التقدمي على ضرورة تدخل السلطة التشريعية لتصحيح جوانب القصور في قانون الحماية من العنف الأسري، من خلال التعديل أو الإضافة بحيث يتوافق مع أحكام الدستور والاتفاقيات الدولية المتعلقة بالعنف ضد المرأة. جاء ذلك في بيان لقطاع المرأة بالمنبر التقدمي بمناسبة اليوم العالمي لمناهضة العنف ضد المرأة الموافق ٢٥ نوفمبر.

وأكد البيان على أهمية إدماج التعريفات الدولية للعنف في القانون ليشمل جميع أشكال العنف مثل التهديد والعنف الجنسي والتحرش في الأماكن العامة، وتطوير نظام قانوني يفرض عقوبات مناسبة على مرتكبي العنف. وكذلك تنفيذ برامج توعوية لحماية المرأة من العنف وتعزيز ثقافة الإبلاغ عبر قنوات آمنة، وتوفير بيانات إحصائية دقيقة حول العنف الأسري ودعم البحث العلمي في هذا المجال.

ودعا البيان إلى تعديل المادة (344) من قانون العقوبات لتجريم الاغتصاب الزوجي بالاستناد إلى عدم الرضا وليس استخدام القوة، وإلغاء أو تعديل المادتين 16 و334 من قانون العقوبات اللتين توفران عقوبات مخففه لمرتكبي الجرائم تحت مسمى "الشرف".

بالإضافة إلى تعديل المواد في قانون أحكام الأسرة التي تشكل عنفاً ضد المرأة، مثل المادة 20 التي تسمح بزواج الفتاة في سن السادسة عشر والمادة 95 الخاصة بالمخالعة التي تشترط رضا الزوج في طلب الطلاق.

وأكد التقدمي على أهمية الاستمرار في العمل من أجل تحقيق العدالة والمساواة وحماية حقوق المرأة، بما يضمن لها العيش بسلام وأمان في مجتمع خال من العنف والتمييز.

على صعيد متصل، جدد قطاع المرأة في المنبر التقدمي رفضه القاطع لجميع أشكال العنف التي تتعرض لها النساء في مختلف أنحاء العالم، وخاصة النساء اللاتي يعانين من ويلات النزاعات، كما هو الحال للمرأة الفلسطينية وما تعيشه من معاناة، وكذلك النساء في بعض الدول العربية مثل لبنان والعراق واليمن والسودان.

وشدد على ضرورة حماية النساء والفتيات من جميع أشكال العنف القائم على النوع الاجتماعي، وضرورة الوقاية من هذه الممارسات ومعاقبة مرتكبيها، بالإضافة إلى دعم التعويضات المناسبة للضحايا، كما أكد على أهمية ضمان حق النساء في العيش بكرامة وأمان، بعيداً عن أي شكل من أشكال العنف وتوفير آليات حماية فعاله لتحقيق هذا الهدف.

ودعا إلى تفعيل جاد للاتفاقيات والإعلانات الدولية التي تحدد الأطر الصحيحة للمسؤولية عن العنف ضد النساء وسبل حمايتهن، مع ضرورة تضمين هذه المبادئ في التشريعات الوطنية بما يضمن تطبيقها بشكل فعال، حيث يجب أن تكون هذه المبادئ ذات قوة قانونية أعلى من أي قوانين محلية.

فضفضة

مجتمع مدني فاعل

عيسى الدرازي

الحاجة إلى مجتمع مدني فاعل ومتفاعل يتعاطى مع الشأن العام ويساهم في المناقشات العامة والحراك المجتمعي وأن يكون قناة إتصال مفتوحة بين الجهات الرسمية وبين الناس، هي حاجة ماسة أثبتت جدواها وآثارها خلال عقد السنوات الأخير، وكيف أنعكس غياب أو تغييب منظمات المجتمع المدني عن الساحة العامة في تعقيد وعرقلة كثير من الملفات على أصعدة مختلفة، اجتماعية وسياسية واقتصادية وسواها.

الدور الفاعل لمنظمات المجتمع المدني مهمة لا تتحملها الدولة وحدها فقط، رغم أن على عاتقها يقع الحمل الأكبر والمسؤولية الأولى، إلا أن القائمين على تلك المنظمات يتحملون جزءاً أساسياً من تلك المسؤولية، بإعادة تفعيل مؤسسات المجتمع المدني رغم التحديات والمصاعب والعراقيل. يكفي أن بعض القائمين على تلك المنظمات يبقون في مواقعهم على رأسها لمدد طويلة ليس حباً في الظهور والتشبث بكرسي الرئاسة أو مجالس الإدارة، بل الواقع هو الذي يفرض عليهم ذلك لقلة العناصر التي ترغب بالدخول في هذا المعترك.

عنصر الشباب، هو ضمان استمرار هذه المنظمات، والحاصل أنهم مغيبون قسراً بسبب انشغالاتهم بحياتهم الدراسية والعملية والأسرية، وهي دوامة عميقة يصعب الخروج منها أو التكيّف معها، واضافة انشغال آخر للقائمة يعدّ شيئاً من المستحيل، ولكن التعويل هنا على كينونة هذا الشاب ومدى رغبته في ترك الأثر، أثر حقيقي يبقى لأجيال قادمة.

دور الدولة يبرز هنا. يجب على الجهات الرسمية أن تعي أهمية دور مؤسسات المجتمع المدني، فلا يمكن الإستمرار في تأطير عمل منظمات المجتمع المدني والحدّ من اختصاصاتها وملاحقة أعضائها.

هناك حاجة لعودة المجتمع المدني، وهو ما يجب الاعتراف به والعمل من أجله، خصوصاً إذا كان هناك اتفاق على أن هدف منظمات المجتمع المدني هو الإصلاح ومعالجة أوجه القصور ومواطن الخلل. ويمكن من باب التغيير تخصيص عدد من المقاعد في مجلس الشورى لرؤساء مجالس منظمات المجتمع المدني المعنية بالقطاعات الأساسية كالعمال والمرأة والشباب وغيرها.

جانب من الحضور

بمناسبة اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني

رشيد وعبد الأمير يستعرضان محطات النضال الفلسطيني

قال الكاتب الفلسطيني المقيم في البحرين، رامي رشيد، أن الشعب الفلسطيني ضحية للتآمر والعدوان الصهيوني الإمبريالي عليه قبل قيام الكيان الصهيوني في مايو من عام ١٩٤٨، فالدماء الفلسطينية تسيل وبغزارة طوال العقود الماضية، ولم تقم الدولة الفلسطينية الوطنية المستقلة وعاصمتها القدس، فيما الخذلان والصمت العربي الرسمي يفاقم من معاناة الفلسطينيين، وبعد هذه المسيرة الحافلة بالنضالات والتضحيات على الفلسطينيين توحيد جهودهم لتحقيق أهدافهم المشروعة.

من جانبه توقف الناشط أحمد عبدالأمير عضو الجمعية البحرينية لمقاومة التطبيع مع العدو الصهيوني أمام تنامي التضامن الأممي مع القضية الفلسطينية، ولاسيما في الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية، وبالأخص في جامعاتها، حيث قاد الطلبة الدارسون فيها التظاهرات والاحتجاجات المؤيدة للشعب الفلسطيني والمنددة بالإبادة الجماعية التي تمارس عليه من قبل قوات الاحتلال الصهيوني وبمشاركة الأمريكان في العدوان والقتل.

جاء ذلك في ندوة أقامها المنبر التقدمي بمناسبة 29 نوفمبر، اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني، أدارها الرفيق المحامي فيصل خليفة، وتحدث فيها رشيد عن تاريخ النضال الفلسطيني ضد الصهيونية منذ ثورة البراق في عام 1929، مروراً بالثورة الكبرى في عام 1936 بقيادة أمين الحسيني، وصولاً إلى رفض قرار التقسيم في 29 نوفمبر 1947، ومن ثم قيام الكيان الصهيوني في 15 مايو 1948.

توقف المحاضر أيضاً عند تأسيس منظمة التحرير الفلسطينية في عام 1964، وإنطلاقة الثورة الفلسطينية في الأول من يناير 1965، وهزيمة عام 1967، وعلى أثرها تم احتلال الضفة الغربية والقدس الشرقية وغزة، وسينا في مصر، والجولان السوري، مستعرضاً العديد من الأحداث والحروب التي مرت بالشعب الفلسطيني وثورته المسلحة سواء في داخل فلسطين أو خارجها وصولاً إلى طوفان الأقصى في السابع من أكتوبر عام 2023 .

بدوره أشار عبدالأمير إلى أنه على الرغم من تأمر الحكومات الغربية والتواطؤ مع الكيان الصهيوني، إلا أن شعوبها وخاصة طلبة الجامعات في بلدانها قادوا المسيرات والاعتصامات التضامنية مع الشعب الفلسطيني، رافعين العلم الفلسطيني كرمز للتضامن مع فلسطين وشعبها.

التقدمي: قرار «الجنائية الدولية» بالقبض على قيادات الاحتلال تاريخي

وصف المنبر التقدمي صدور أوامر قبض من المحكمة الجنائية الدولية على القيادة السياسية لدولة الاحتلال بتهم تتعلق بجرائم ضد الإنسانية، بالقرار التاريخي، ويؤسس لوضع قانوني مستجد يستدعي قطع العلاقات بأثر فوري.

وقال التقدمي في بيان له إن: "المحكمة الجنائية الدولية اتخذت خطوة غير مسبوقة، بإصدارها مذكرتي قبض على رئيس وزراء دولة الاحتلال نتنياهو ووزير دفاعه السابق يوآف غالانت، محققة بهذا الأمر القضائي خطوة في الاتجاه الصحيح نحو انصاف ضحايا الاحتلال الصهيوني".

وأوضح البيان بأن: "القرار ليس فقط كاشفاً لواقع أريد له أن يظل مخفي، إنما هي قرارات منشأة لوضع قانوني مستجد أصبح بعده لزام على دول العالم أن تتقيد به، وتعمل على تطبيقه، تأتي في طليعتها الدول العربية المطبعة مع دولة الاحتلال كي تعيد النظر في قرارات التطبيع بعد أن جزمت المحكمة الدولية أن دولة الاحتلال ممثلة في قياداتها السياسيين ارتكبت جرائم ضد الإنسانية كانت تسعى ومن خلال تلك الجرائم إلى إبادة الشعب الفلسطيني وتصفية قضيته".

وجدد التقدمي المطالبة بقطع العلاقات مع الكيان المحتل وطرد السفير، لافتاً إلى أن: "هذا المطلب أصبح الآن أكثر مشروعية من أي وقت مضى بعد أن جزمت المحكمة الجنائية بأن سلوك القيادة السياسية لدولة الاحتلال مجرم دولياً، كما صدر ضدها قرار بالقبض". وواصل البيان: " إن استمرار العلاقات الدبلوماسية وغيرها من أشكال التطبيع مع دولة صادر بحق قادتها السياسيين أوامر قبض على خلفية جرائم ضد الإنسانية في حق الشعب الفلسطيني أمر مستنكر".

الجمعيات السياسية ترحب بقرار الجنائية الدولية باعتقال نتنياهو وغالانت

عبرت الجمعيات السياسية (المنبر التقدمي، المنبر الوطني الإسلامي، التجمع القومي الديمقراطي، التجمع الوطني الديمقراطي الوحدوي، تجمع الوحدة الوطنية، الصف الإسلامي، والوسط العربي الإسلامي) عن ترحيبها العميق بقرار المحكمة الجنائية الدولية القاضي بإصدار مذكرات اعتقال بحق رئيس وزراء الكيان الصهيوني بنيامين نتنياهو ووزير الدفاع السابق يوآف غالانت.

وقالت بأن القرار يُعتبر خطوة محورية نحو تحقيق العدالة والمساءلة في ظل الانتهاكات المستمرة التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، وإن ما يعزز من أهمية هذا القرار هو أن الإدارة الأميركية، التي سعت لعرقلة جهود المحكمة، كانت تدرك تمامًا حجم الجرائم المرتكبة، إلا أنها اختارت السكوت والتواطؤ. مشيرة إلى أن: القرار في وقت حرج، حيث تتواصل الاعتداءات الصهيونية على المدنيين في قطاع غزة، مما يبرز الحاجة الملحة للمجتمع الدولي للوقوف في وجه هذه الجرائم.

ورأت بأن الخطوة تصحيحاً ولو بسيطاً لمسار طويل من الظلم الذي تعرض له الفلسطينيون على مدار أكثر من 76 عاماً من الاحتلال، حيث تواصلت انتهاكات حقوق الإنسان بشكل يومي دون رادع، وشددت على: ضرورة توسيع دائرة المحاسبة لتشمل كافة قادة الاحتلال الصهيوني الذين ساهموا في ارتكاب هذه الجرائم، واستثمار هذا القرار ودعم الجهود الرامية إلى حماية المدنيين في قطاع غزة، ووقف الإبادة الجماعية.

وأكدت الجمعيات على ضرورة أن تتجاوب الحكومة البحرينية والدول العربية مجتمعة مع هذا القرار التاريخي بما يستحقه من اهتمام واعتبار، وعدم الاكتفاء بالإشادة بالقرار إن حدثت أصلاً، بل يجب أن تتخذ خطوات عملية تعكس التزامها بالعمل العربي المشترك، وقطع العلاقات مع الكيان الصهيوني، كرسالة واضحة تُظهر أنها لا يمكن أن تضع يدها بأيد مجرمي حرب مطلوبين لدى المحكمة الجنائية الدولية.

استمرار استهداف النقابيين والفصل التعسفي في شركة جارمكو

قالت نقابة شركة جامكو بأن الشركة تواصل استهداف النقابيين بشكل تعسفي. مشيرة إلى أن الشركة قامت بفصل أربعة أعضاء من مجلس إدارة النقابة، متجاهلة بذلك القوانين المحلية والاتفاقيات الدولية النقابية الدولية، حسبما جاء في البيان النقابة.

وأوضحت النقابة بأن «هذا التحرك يأتي كجزء من سياسة جديدة للإدارة الشركة للضغط على النقابيين للتنازل عن حقوقهم المكتسبة في خطوة تمثل انتهاك واضح للقانون».

وقالت النقابة إن «الشركة شهدت منذ تولي الإدارة التنفيذية الحالية تصعيداً مستمراً ضد النقابيين إذ لجأت إلى وسائل عدة لإرغامهم على التخلي عن حقوقهم النقابية وحقوق العمال التي يحميها قانون العمل ولوائح الشركة»، وأشارت إلى أن: "التصعيد ضد أعضاء النقابة بدأ منذ وصول الرئيس التنفيذي أي منذ 4 أعوام من خلال حرمان العمال من الزيادات السنوية والترقيات، ملوحة بالتهديد بالفصل التعسفي لمن لا يمتثل إلى الانسحاب من النقابة أو التوقيع على التسوية يصبح هدفاً للفصل وأقدمت الشرك".

وناشد النقابة الجهات المسؤولة في الدولة بالتدخل العاجل لحماية حقوق النقابيين وإعادتهم إلى وظائفهم وحثت على توفير الحماية القانونية اللازمة لوقف استهداف إدارة الشركة لهم ووقف جميع أشكال التمييز والمضايقات الموجهة ضد شريحة كبير من أعضاء النقابة.

تعليقا على ما يجري في «جارامكو»

سلمان: مجلس إدارة الشركة مطالب فوراً بإيقاف تصرفات شركة الدرفلة

طالب النائب الأول لرئيس مجلس النواب، عضو كتلة تقدّم، عبدالنبي سلمان مجلس إدارة شركة البحرين لدرفلة الألومنيوم (جارامكو) بضرور إيقاف تصرفات الإدارة التنفيذية للشركة بحق إدارة النقابة العمالية فيها، حيث اعتبرها تصرفات مرفوضة جملة وتفصيلا، وكثيرا ما تكررت دون رادع. مشيرا أنه وعلى الرغم من الأحكام القضائية العديدة التي صدرت من محاكم مملكة البحرين والتي أنصفت في معظمها أعضاء ومجلس إدارة النقابة، إلا أن الإدارة التنفيذية لازالت مستمرة في تصرفاتها التعسفية بحق النقابيين والعاملين البحرينين من فصل وتوقيف، الأمر الذي خلق بيئة من التوتر الدائم في أوساط العاملين البحرينيين في الشركة مع الإدارة التنفيذية، التي باتت باعتقادنا تتصرف بعيدا عن مضامين ما جاء في مشروع جلالة الملك من دعم ومشروعية لإنشاء النقابات ودورها في الدفاع عن مصالح العاملين في الشركات.

وقال سلمان إن ملف "جارامكو" سيفتح كاملا خلال الأيام القادمة إذا لم تتوقف ممارسات الإدارة الحالية ويتم على الفور معالجة وضبط أوضاع الشركة وإخفاقات الإدارة التنفيذية المتواصل.

الحركة النقابية والعمالية تنعى النقابي المخضرم محمد المرباطي

نعت الحركة النقابية والعمالية المناضل العمالي المخضرم النقابي محمد عبدالجليل المرباطي، بعد صراع طويل مع المرض، واعتبرت الحركة النقابية رحيله خسارة للعمل النقابي والعمالي في البحرين، لاسيما أنه ساهم في تأسيس اللجنة التأسيسية لاتحاد عمال البحرين والمهن الحرة والتي أصبح اتحاد نقابات عمال البحرين امتداد لها.

وكرمت منظمة العمل العربية النقابي المرباطي، عن فئة العمال، خلال احتفائها برواد العمل العرب على هامش أعمال الدورة الـ 46 لمؤتمر العمل العربي المنعقدة في القاهرة من 14-21 ابريل 2019.وجرى التكريم بحضور وزير العمل والتنمية الاجتماعية، جميل بن محمد علي حميدان، رئيس وفد مملكة البحرين المشارك بالمؤتمر.

وجاء تكريم الراحل نظير تاريخه الطويل في مختلف مواقع الإنتاج، إضافة إلى جهوده وإسهاماته الدؤوبة في تطور الحركة النقابية في البحرين، وبما يخدم الأهداف النقابية في تعزيز وصون حقوق العمال وتطوير بيئة العمل.

كما حصل على وسام الحركة النقابية العربية تكريماً لجهوده ومساهماته النقابية، وقد جرى تكريمه من الحركة النقابية البحرينية بالإضافة الى تنظيمه ومشاركته للعشرات من الندوات النقابية والسياسية وله إسهامات في الصحافة المحلية ومتخصص في الدراسات النقابية، ويحمل عدداً من الشهادات في هذا المجال، وكان كاتباً في الشؤون النقابية والعمالية والمحلية، وقام بإعداد وتأليف عدد من الكتب العمالية والدراسات والبحوث النقابية، وشارك منذ مطلع السبعينات في معظم المؤتمرات النقابية العربية والدولية.

منظمة العمل الدولية تقرر انتقال فلسطين من حركة تحرر وطني إلى دولة مراقبة

قررت منظمة العمل الدولية انتقال فلسطين في المنظمة من حركة تحرر وطني إلى دولة مراقبة. وذكرت وكالة الأنباء الفلسطينية أن ذلك جاء في ختام اجتماع مجلس إدارة المنظمة حول فلسطين – مجموعة العمال، بمشاركة رئيس الاتحاد العربي للنقابات، الأمين العام لاتحاد نقابات عمال فلسطين، شاهر سعد، إلى جانب ممثلي الاتحادات العربية والدولية الأعضاء في إطار المنظمة الأممية، حيث تضمن النص الصادر عن الاجتماع قرار مجلس إدارة المنظمة رقم 352 قبول فلسطين. وأضاف سعد، أنه سيتم اعتماد القرار بشكل نهائي في مؤتمر العمل الدولي خلال شهر يونيو عام 2025، مشيراً إلى أن القرار يمنح فلسطين المشاركة الكاملة في هياكل منظمة العمل الدولية كافة، ويعطيها الفرصة للانتقال إلى العضوية المشاركة.

«وكالات» – 4 نوفمبر 2024

كاريكاتير
خالد الهاشمي

نقلاً عن حساب الفنان على «انستجرام»

العدالة الاجتماعية والديمقراطية في عالم العمل للعمالة المهاجرة

أكد مستشار الأنشطة النقابية في منظمة العمل الدولية مصطفى سعيد على أنه من غير الممكن تحقيق العدالة الاجتماعية في ظل غياب الديمقراطية، موضحا أن الديمقراطية النقابية الحقيقية لا يمكن تحقيقها في ظل غياب المفاوضة الجماعية وتعزيز مبدأ الحوار في مواقع العمل، مشيرا إلى دراسة يجري الاشتغال عليها منذ عامين وسيعلن عنها في فبراير المقبل، تتعلق بالحماية الاجتماعية للعمال المهاجرين في دول الخليج، وستكون متبوعة بمشروع يهدف لتعزيز المكتسبات، مشيدا بخطوات دول الخليج في هذا الشأن وداعيا لإعطاء دور أكبر للحركة النقابية وتعزيز الحوار، وهو الأمر الذي سينتج عنه مزيد من التطور لتعزيز العدالة الاجتماعية.

جاء ذلك خلال افتتاح مؤتمر العدالة الاجتماعية والديمقراطية في عالم العمل للعمالة المهاجرة في قطاع البناء والعمالة المنزلية، والذي يعقده الاتحاد العام بالتعاون مع الاتحاد الدولي للبناء والأخشاب، ومنظمة فريدريش إيبرت.

من جانبه، أكد الأمين العام لنقابات عمال البحرين، عبدالقادر الشهابي على أن التشابه بين أنظمة وقوانين العمل في ملفات الحماية الاجتماعية والسلامة المهنية في دول الخليج، يؤكد على اهتمام أطراف الإنتاج في هذه الدول بمبدأ العدالة الاجتماعية.

وأشار الأمين العام إلى أن إشراك العمالة المهاجرة في منظومة الحماية، هو دليل على شمولية الحقوق التي لا تتجزأ.

إجراءات تنفيذية غير مدروسة ونتائج مؤلمة

فلاح هاشم

جميع دول العالم تواجه في مسيرتها العديد من الصعاب والتحديات، وتعمل على تجاوزها بخطط تتطلب تشريعات وقرارات مدروسة على جميع الصعد والمستويات، ويشارك فيها المواطنون عن طريق ممثليهم في المجالس التشريعية، ويكون لهم القرار الحاسم في إقرارها وبمشاركة الرأي مع مؤسسات المجتمع المدني والمختصين قبل أن يعهد إلى السلطات التنفيذية في البدء بتنفيذ ما جاء في تلك التشريعات، مع مراقبة لصيقة بحسن إدارة وتنفيذ ما جاء في تلك التشريعات؛ وهذا ما ينتج عنه بالضرورة تحمل المجتمع للنتائج اللاحقة.

وعلى العكس من ذلك عندما تقر تشريعات وتنفذ قرارت بدون دراسة وافية ومشاركة مجتمعية، غالبا ما يكون لها وقع كارثي على المجتمع.

في هذا السياق دعونا جميعا نتفكر في ما تمّ في ثلاثة من التحديات التي واجهناها، وكيف، وبأي قرارات، وما هي تبعاتها

1- الحاجة إلى العمالة الوافدة

عندما فتحت الأبواب لاستيراد وجلب العمالة بدون ضوابط ورقابة وبأعداد كبيرة، بحجج وذرائع شتى، وبما يفوق الحاجة الفعلية للقطاعات والنشاطات الاقتصادية في البلد، ومع بوادر ظهور نتائج هذه القرارات على السطح، تم غض الطرف عنها والهروب إلى الأمام بالسماح لمن جلب تلك العمالة بالمتاجرة بها بما عرف بـ»الفري فيزا»، ثم تبعتها ،وبقرارات رسمية، الفيزا المرنة، لتتبعها الفيزا السياحية، وكأنه نهج في مداراة المشكلة والهروب من مواجهتها، مما يؤدي إلى خلق مشكلة أخرى.

2- الاقتراض "الدين العام»

مع منتصف العقد الأول من الألفية الثانية ومع تبديد مداخيل النفط في فترات سابقة دون إنجاز ما تحتاج له البلد من تنمية وتطوير بنية تحتية وخلق اقتصاد متنوع يواجه التحديات الاقتصادية، ومع انخفاض تلك المداخيل اتجه البلد إلى سياسة الاقتراض الداخلي والخارجي وبدون خطة مدروسة عن كيفية الاستفادة من تلك الأموال المقترضة، تمّ التعامل معها كالفوائض من مداخيل النفط حين كان السعر مرتفعاً لنصل إلى ما وصلنا إليه من دين عام يكاد أن يصل بنا إلى أعلى قمة في نسبة الدين العام للناتج الإجمالي بين دول العالم، ليتحمل المواطنون تبعات ذلك بتشريع ضرائب وتخفيض ميزات ومنافع في دعم لتكاليف المعيشة وتدني خدمات، دون مشاركتهم في تلك القرارات أو حتى معرفتهم في أين وكيف تم صرف تلك الأموال.

3- التجنيس

واجهت ولازالت تواجه العديد من دول العالم تحديات ديموغرافية في نقص الموارد البشرية وخاصة في فئة ذوي الكفاءة العلمية والمهنية أو الحاجة إلى زيادة أعداد السكان أو حتى تحديات ومشاكل اجتماعية وسياسية، إلا أن موضوعا كموضوع التجنيس للأجانب وإن حصل في بعض البلدان، فإنه يتمّ على أضيق الحدود ووفق حاجة البلد وبشفافية عالية وبما لا يخل بالتركيبة السكانية وموارد وإمكانية البلد، وحياة مواطنيه أو نوع ومستوى الخدمة التي تقدم اليه وذلك ليجنب تلك البلدان تبعات أية عملية تجنيس لأي فرد ممن يعطى شرف الجنسية. ما يتعالى به صوت المواطن ومن جميع الشرائح وفي مواقع مختلفة، خاصة في ما يتعلق بما ذكر أعلاه يعبر بصدق عن تبعات ونتائج تلك القرارات والإجراءات ونتاىجها على الوطن والمواطنين. فبدون مواجهة أصل المشكلة، فلن نستطيع أن نحد من نتائجها، بل ستكون مجرد حلول وسياسات ترقيعية في أحسن الأحوال، قد تفيد في تأجيل انفجارها فقط؛ مما سيكون لها من الأثر الكارثي والأكبر على الجميع.

بصراحة

العامل البحريني يصرخ أين حقي؟

ناضل عمال البحرين منذ ثلاثينيات القرن الماضي من أجل حرية العمل النقابي وتشكيل النقابات العمالية، حيث كان مطلباً رئيسياً في الانتفاضات الشعبية والتظاهرات والاحتجاجات العمالية التي اجتاحت البحرين على مدار عقود من السنين، وعلى هذا الطريق ضحَّى العشرات من العمال النقابيين وتعرضوا للاعتقال والنفي لسنوات، وفُصِلَ العديد منهم من العمل، وحوربوا في رزقهم، وهناك من ليس لديه تأمين اجتماعي يعيشون عليه مع عوائلهم ،حتى تحقَّق ذلك الحلم النقابي العمالي في عام 2002 بصدور قانون النقابات العمالية الصادر بالمرسوم بقانون رقم (33) لسنة 2002، والذي على أثره تأسَّست النقابات العمالية وبرزت الكوادر العمالية التي ناضلت في اللجان العمالية السرية لسنوات طويلة. كما تحقَّق المطلب النقابي الثاني الهام والتاريخي، وهو إقرار عطلة الأول من مايو "عيد العمال العالمي"، حيث أصبح إجازةً رسميةً في عام 2003، بفضل تضحيات الروَّاد الأوائل من العمال النقابيين

نشأ حراك عمالي نشط في بدايات 2002، تأسَّست على أثره الاتحادات العمالية، وكان المأمول منها أن تعبِّرَ عن أهداف ومطالب العمال والنقابات، وأن تكون صوت العمال، معبراً حقيقياً عن معاناتهم، ففي هذه الأيام يجرجرون النقابيين إلى مراكز الشرطة بسبب تمسُّكهم بالحقوق النقابية ورفضهم تعسف وترهيب بعض المدراء التنفيذيين في بعض الشركات التي لا تلتزم حتى بالأحكام الصادرة عن المحاكم البحرينية، يعني لا تحترم القانون والقضاء في البحرين، فيما تلتزم زارة العمل الصمت، لا تفعل شيئاً يذكر لمحاسبة تلك الشركات وإلزامها بتنفيذ الأحكام القضائية الصادرة.

يردِّد المسؤولون دائماً بأن البحريني هو الثروة الحقيقية، ولكنه الثروة التي تهدر وتهان، وتسلب حقوقها، والجهة المعنية تؤثر الصمت، وفي بعض الأحيان تنحاز إلى الجهة السالبة لحقوق العمال. ما يقدِّمه النقابيون من تضحيات في بعض الشركات يفوق كل التصورات، وهي تحديات كبيرة، ولكنها ضريبة النشاط النقابي، فمن يتحمَّل القيادة والمسؤولية عليه دفع الثمن غالياً، فالعمل النقابي ليس «برستيجاً» من أجل الواجهة الاجتماعية أو السفر إلى الخارج، وإنما أهم أهدافه الدفاع عن العمال والكادحين وأن ينالوا حقوقهم، والوقوف في وجه القرارات الجائرة التي تصدر من بعض إدارات الشركات .

ومن يتصدَّون للأفعال المخالفة لمطالب العمال والذين يقفون في وجه مكابرة وترهيب المدراء التنفيذيين هم النقابيون الذين يقدمون التضحيات الكبيرة حتى لو خسِروا وظائفهم، ومن يقفون مع إدارات الشركات، ويتركون العمال لمصير مجهول أو ليواجهوا قدرهم لوحدهم ، سواء كانت وزارة العمل أو اتحادات عمالية، هؤلاء يتخلَّون عن القيام بواجباتهم المهنية والنقابية والحقوقية، فلا يجوز التخلِّي عن حقوق العمال المشروعة من قِبل الجهات المعينة، دون اتخاد إجراءات رادعة ضد المدراء التنفيذيين لبعض الشركات الذين يمارسون العسف ضد العمال والأكثر من هذا وذاك لا يلتزمون بالأحكام الصادرة من المحاكم البحرينية لصالح إرجاع حقوق العمال. على العمال التوحُّد من أجل تحقيق مطالبهم وحقوقهم وعليهم طرق كل أبواب السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية والإعلامية، وإذا استنفدت كل الخطوات الإجرائية ولم تحقق المطلوب عليهم التوجه إلى الاتحادات العمالية والنقابية الدولية .

نحن نعيش في عالم تتداخل فيه القضايا الوطنية بالقضايا الأممية، هناك قوانين وتشريعات دولية لا يمكن تجاوزها، ومن يحترم القانون والدستور سوف يلتزم به، وعلى أعضاء مجلس النواب بصفتهم ممثلين للشعب، الدفاع عن حقوق العمال والنقابيين المتضرِّرين من شركاتهم ومحاسبة من يتعدَّى على حقوقهم ويحرمهم من رزقهم، فالعمل النقابي ليس جُرماً والانضمام إلى النقابات العمالية ليس جريمة أو خرقاً للقانون، بل هو حق من حقوق العمال والنقابة صوتهم ورئتهم التي يتنفَّسون منها، فلا يجوز وقف الأوكسجين عنهم، وقتلهم، لابد من وقف من يريد سلب حقوقهم النقابية. إن التخلِّي عن النقابة العمالية يعني التخلِّي عن حقوقهم المشروعة.

فاضل الحليبي

ذات شتاء دمشقي

نزل الثلج على جبل قاسيون منذ نوفمبر/ تشرين الثاني، فأخرجت دمشق مدافئها وبسطها وشالاتها. تَلفحُ وجهي نسمات باردة وانا اهبط من سلم الطائرة أمعن النظر في لافتة كبيرة على مبنى المطار تقول: «دمشق عرين الأسد ترحب بكم».

ألقاه في بيته، قبو عبارة عن ممر تصطف غرفة الثلاث يسار باب مدخل البيت يقابلها حمام ومطبخ. بقايا بيت دمشقي عتيق راحت كل معالمه ولم يتبق منه سوى نافورة مثمنة في حوش صغير مهمل له باب من المطبخ. اشعر بالبشر في ملامحه وبحرارة بادية في سلامه وعناقه. سأعرف السبب بعد يومين: لقد حضر شخص من الفريج.. حضر شخص من حالة أبو ماهر وعندما تحضر الحالة في هذا البيت الدمشقي، تحضر الروح والقلب.

محمد فاضل العبيدلي

برد دمشق ينخر العظم ويتسلل من مسام اغطية الصوف، فقمت بتسريع قطرات المازوت في مدفأة الصوبيا طمعاً في مزيد من الدفء، فما كان منه الا ان استيقظ قبيل منتصف الليل بعد ان تحولت الغرفة الى تنور وانا مستغرق في نوم عميق. أعاد ضبط الصوبيا وهو يعلمني درس الدفء في برد الشام: "لا تستعجل الدفء، القطرات الصغيرة تبقي النار مشتعلة طيلة الليل فيشيع الدفء بالتدريج».

صباح اليوم التالي وفيما بدا لي انه عقوبة من نوع ما، أوقظني في السادسة صباحاً وهو يقول: "قم نروح سوق الهال نشتري سمك.. خاطري في روبيان في قاعته". ما ان خطونا خارج البيت، كنت اظن ان سوق الهال قريب لأنه لم يستوقف سيارة اجرة ولم نركب حافلة، ولم أكن اعلم اننا سنقطع نصف دمشق للوصول مشياً الى السوق. لكن المشي معه كان متعة لا توصف، وعلى نحو ما ستبقى دمشق محفورة في ذاكرتي بديسمبر البارد ذاك الذي قضيته فيها برفقة محمد عبدالجليل المرباطي (أبو أنس) الذي رحل عنا امس الجمعة 15 نوفمبر/تشرين الثاني 2024.

دمشق التي افاقت بدأت تزدحم واخذت رائحة المازوت تطغى على اريج الياسمين المنبعث من حدائق البيوت الدمشقية وأبو أنس يشرح لي عن مناطق نمر بها او مبانٍ او ساحات ويقطع حديثه ليسألني عن أناس من أهل الفريج. طفنا بأحياء ومناطق وركبنا حافلة وعاودنا المشي من جديد. وصلنا السوق وقبل ان ندخله، دلفنا الى مطعم صغير بالجوار. طلب إفطاراً، فجاءت اطباق الحمص والفول والبيض وصحن خيار وطماطم ونعناع وكأسي شاي. اشترى الروبيان وقطعنا نصف دمشق من جديد عائدين للبيت.

ستتكرر مشاوير السوق والطبخات المطيبة بمزاج عالٍ والغداء العامر دوما بالأصدقاء فيما سيلي من الأيام مع أبو أنس وسيتكرر التطواف في دمشق. قال مرة: "دمشق مدينة صغيرة عموماً والتجول فيها مشياً متعة". كانت متعة مضاعفة ان استمع اليه وهو يشرح ويسأل ويحكي قصصا قديمة لبعض اشقياء الفريج ورجاله أو طرائف مجانينه التي لا تحصى. كان يحكي ويصمت فيما عقلي يستعيد فصلاً من تاريخ دمشق ان استوقفني مشهد لساحة فأتخيلها ساحة لمعركة من معارك لا تحصى شهدتها المدينة على مر تاريخها. كنت اردد في نفسي احياناً: لابد ان فرقة خيالة من جيش صلاح الدين او الظاهر بيبرس قد مرت من هنا. وان لاحت امام ناظري سفوح من قاسيون، اطيل النظر فيها ويمعن ذهني في استدعاء التاريخ وتتداعى الصور في مخيلتي ولا يقطعها سوى سؤال من أبو انس كأن يقول: "شخبار الكحلاوي؟".

لحظتئذ تنطلق مني ضحكة هستيرية اكاد لا اقوى على كتمها لأن المفارقة شديدة التناقض. فالكحلاوي هذا رحمه الله من مشاهير ظرفاء حالة أبو ماهر (بالمعنى الأوسع لكلمة الظرفاء) وحين يباغتك سؤال أبو أنس عنه فيما انت مستغرق في خيالك عن صلاح الدين والظاهر بيبرس ويوسف العظمة وميسلون، لن تجد مناصاً من ضحك هستيري ستجاهد لكبحه واستعادة وقارك في شارع دمشقي مظلل بالاشجار.

فيما سيلي من الأيام، سيسألني عن كل شخص وكل بيت وكل زقاق في حالة بوماهر، عن قلعتها عن دكاكينها وسواحلها. سيحكي لي قصصاً وحكايات وطرائف لا تنتهي، اكان في طوافنا في شوارع واحياء دمشق او في ذلك القبو القابع بضع درجات نزولاً من بقايا بيت دمشقي عتيق. فيما نحن نطهو ما تشتهي أنفسنا من اكلات بحرينية في شتاء دمشق وبردها القارس. وسيتجادل أيضا في نقاش بحريني نموذجي مما نسميه "معاياه" معي او مع غيري على أي شيء: نقاش حول كتاب او واقعة تاريخية او حول تاريخ افتتاح أول دكان شاورما في المحرق او أول صندوق بريد وضع في حالة بو ماهر، لكن لا تفكر للحظة ان تكسب المعاياه مع ابوانس.

لن تكتفي منه بالحكايات والطرائف والقصص الطافحة بالحنين لحالة بو ماهر، بل ستتعلم الكثير، عن التاريخ والنقابات وتقلبات الحياة والسياسة، ستتلى عليك القصص والاخبار ولك العبرة إن كنت مصغياً بمحبة.

لطالما اصغيت له بمحبة في غمرة الضحك وفي حمأة الجد.. رجلٌ من المكان الذي ولدت وعشت فيه، من "الحالة العظمى" كما يحلو لبعضنا ان يقول.. رجل كان يعتصر ذاكرتي وهو يمطرني في شتاء دمشق وثلجها بأسئلة لا تنتهي عن كل شارع وزقاق في حالة بوماهر، وكل رجل وكل حجر، عن كبار قومها وفقرائها، عن ظرفائها، عن بحرها وسواحلها ونبع الماء البارد في قلعتها. اليوم الجمعة 15 نوفمبر 2024 ودعته بنفس تلك المحبة مشفوعة بضحكة مستعادة من طرفة قيلت قبل اكثر من 40 عاماً. لروحك الباقية فينا كل المحبة يا أبو أنس.

تشكيل النقابات نقلة في الحركة العمالية البحرينية

حينما تولى جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة مقاليد الحكم في العام ١٩٩٩ أصبح لدى شعبنا، وخصوصاً في أوساط القوى الوطنية والقوى العمالية تفاؤل، حيث الانفتاح السياسي والتحولات الديمقراطية وخصوصاً بعد صدور القرار الملكي رقم ٣٦ لسنة ٢٠٠٠ في ٢٢ نوفمبر القاضي بتشكيل اللجنة الوطنية للإعداد لمشروع ميثاق العمل الوطني الذي استفتي عليه في ١٤ فبراير ٢٠٠١ وبموافقة ٩٨.٤ في المئة من المواطنين، حيث هيأ لحرية التنظيم النقابي، الذي أوقف بعد تجميد العمل بأحكام دستور ١٩٧٣، ومن ثم أعطي القرار التاريخي بالسماح لإنشاء نقابات عمالية، وذلك تعزيزاً لحقوق الطبقة العاملة عملاً بالمواد ٢٨-٢٧ من دستور البلاد تأكيداً على أحقيتهم وحريتهم.

أعطيت القيادات النقابية مساحة كبيرة للحركة في الشركات والمؤسسات، ودعوة للعمال لإنشاء نقاباتهم، وعزز صدور قانون النقابات العمالية، وذلك بالمرسوم بقانون رقم (33) في سبتمبر 2002 عودة النقابيين والوطنيين من الخارج وممارسة نشاطهم الوطني والنقابي، وشاركوا في المنتديات والفعاليات.

وقد تفاعلت الشركات مع العمال في الاهتمام بهذا النشاط في المنتديات، وشكل هذا حالات لم يشهدها الوطن من قبل، حيث لاقى الأول من مايو كعطلة رسمية نجاحاً وبات مصدر فخر للعمال، حيث عزز دور النقابات وتفاعل العمال معها في جميع مؤسسات الوطن، وبلغ عدد النقابات خلال عامين في القطاع العام والخاص ما يقارب الأربعين نقابة، ووقع على عاتق النقابيين التصدي للفصل التعسفي والبطالة والأجور وقضايا العاطلين والعاملين بعقود مؤقتة والتعسف ضد النقابيين وفصلهم بسبب مواقفهم في الدفاع عن العمال وإصلاح سوق العمل.

إن النقابيين في نضالهم هذا لأجل إصلاحات جادة هدفها التطور الاجتماعي والوطني، والمساهمة في خلق قاعدة عريضة تشمل كل النقابات العمالية لتمكين قوة اجتماعية فاعلة على جميع المستويات اجتماعياً واقتصادياً لأجل بناء هيكلية تنظم نسقاً يمثل الاتحاد العام لنقابات عمال البحرين.

عقد المؤتمر التأسيسي للاتحاد العام لنقابات العمال في البحرين في 12 يناير 2004، حيث شارك ما يقارب 150 مندوباً يمثلون نحو 40 نقابة عالمية وبعض الضيوف والذي يبلغ عددهم ما يقارب 18 ضيفاً من جميع بلدان العالم، أثنوا على هذا اللقاء وأكدت على دعم كافة الحركات النقابية للقيام بدورها على أكمل وجه، وجاء في كلمة الأمين العام لنقابات العمال العرب الأستاذ حسن جمام أمام المؤتمر: «أعبر عن تقديري للطور الحاصل في تحقيق الديمقراطية والمشاركة الشعبية الذي تشهده مملكة البحرين في عهد جلالة الملك حمد بن عيسى آل خليفة والتي كان عن نتائجها ولادة اتحادكم».

كما تحدث رئيس الاتحاد التونسي للشغل الأستاذ عبدالسلام جراد، حيث قال: «لعل ما يميز التجربة البحرينية ويضعها في موقع الريادة هو إقرارها بحق العمال في مملكة البحرين في العمل النقابي بغض النظر عن جنسيتهم وعرقهم ولونهم، وهو ما ينسجم مع مبادئ الحركة النقابية العالمية وما يستجيب لمعايير العمل الدولية والمثل الإنسانية التي تشكل جوهر العمل النقابي».

كانت تلك نقطة تحوّل في مسار الحركة النقابية في البحرين حيث بادرت اللجان المشتركة لتحويلها إلى نقابات عمالية، ما أعطى دفعة جديدة للعمل النقابي وشرعنته بحكم القانون، وبهذا الصدد حاولنا في المؤتمرات التأسيسية إيصال عدد من النقابات في بعض المؤسسات والشركات، ما أفرز وعياً نقابياً ديمقراطياً بارزاً، تحتاجه حركتنا النقابية والعمالية، رغم كل الصعوبات المحيطة والمستجدة.

قاسم الحلال

المسرح.. القيم والثقافة

عند العرب «القيمة» من الفعل «يُقَيِّمُ»، وماضيها «قَيَّمَ»، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، فالقيمة قدر الشيء بالتقويم. وشاع المصطلح بعد الثورة الصناعية وظهور البرجوازية وسيادة الاقتصاد الرأسمالي الذي حوّل كل شيء إلى سلعة معروضة للتبادل في السوق، وأصبحت القيمة مرتبطة بقدر مكسب الربح. فكتب كارل ماركس أن الرأسمالية تحوّل كل شيء إلى سلعة تعرض في السوق للتبادل ولا يتم التبادل الا بتحقق الربح، فالشيء الذي لا يدر ربحاً مجزياً ليست له قيمة. وهكذا أصبحت قيمة الأشياء مرادفة لقدرتها على جني الأرباح والمكاسب المالية. ولكن هناك قيم لا يمكن أن تعامل كسلعة ومنها الفن والأدب والمسرح بشكل خاص.

رعد موسى الجبوري

القيمة هي مقياس اجتماعي لتقدير الظواهر والأشياء، والتقدير عملية طبيعية ضرورية يقوم بها كل كائن حي، فالحيوانات البدائية مثل الدود تمتلك مستشعرات لتقدير الفوائد والأضرار في محيطها، وهذه العملية تعني مسألة حياة أو موت لها، فهي تستشعر مواقع المواد وتقدر مدى فائدتها كغذاء أم لا أو ضررها كسموم. وملكة النمل تستطيع تقدير المكان لتأسيس مملكتها إن كان مناسبا ام لا. إن تقدير الأشياء عملية أساسية لاتخاذ القرار.

في المجتمعات البشرية شاع مفهوم القيمة ليشمل عدة جوانب، وفي اللغة الإنجليزية تمّ اشتقاق المفردة من الكلمة اللاتينية valere، وتعني "أن يكون مستحقا، أن يتم تقديره" أو خاصية الشيء الذي يجعله مرغوبا موضوعيا. وبما ان العيش في جماعة يستوجب وضع معايير وعلى أفراد المجموعة الالتزام بهذه المعايير، ومن ضمن هذه المعايير الأخلاق التي تحدد ما يجب فعله ليكون العمل خيرا وهكذا أصبحت الاخلاق قيما.

اعتقد نيتشه أن القوة هي التي تفرض الإرادة فهي القيمة، واعتقد سارتر أن الحرية وحدها يمكن أن تكون أساس كل القيم، ويرى ماركس أن القيمة هي نتاج عمل البشر التي يستغلها الرأسمالي ويقوم باستبدالها ليستحوذ على الربح. في علم الجمال، تشير القيمة، الى القدر الذي يستطيع فيه العمل الفني التأثير على مشاعر وعواطف الناس.

ولكن ماذا عن الثقافة؟ هذا المزيج الهجين من عدّة اشياء، وفيها الفن والأدب، والفن بحكم تعريفه هو غاية غير تجارية في حدّ ذاته، والأعمال الفنية ناقل أساسي للهوية الثقافية التي يعتمد عليها كل شعب، ونلاحظ اليوم تزايد أهميته بشكل أكثر إلحاحا من أي وقت مضى في زمن العولمة. فالفجري جزء من الهوية الثقافية لشعوب الخليج، أما لويس ارمسترونغ وموسيقى الجاز فهي ليست كذلك، مع ذلك نلاحظ أن هناك الكثيرين من أبناء شعوب الخليج تسمع وتستمتع بالجاز. فالفن يتسلل ويعبر كل حواجز الثقافات، ولكن كما يبدو باتجاه محدد، أي من مناطق الضغط العالي إلى مناطق الضغط المنخفض، من ثقافات المجتمعات المتفوقة تكنولوجياً باتجاه المجتمعات الأقل تطوراً. لذلك هناك خشية من اكتساح ثقافات المجتمعات المتفوقة تكنولوجياً، وانحسار، وربما انقراض، الثقافات المحلية الوطنية.

الثقافة أساس للهوية الوطنية، ومنها الفن، فللفن، ومنه الفنون المسرحية، وظيفة تعزيز الترابط الاجتماعي بين افراد الثقافة الواحدة والوطن الواحد. وكذلك للمسرح وظيفة تنويرية وتربوية بشكل عام، في المجال الاجتماعي في المقام الاول باعتباره مجال يمكن فيه عرض الظروف الاجتماعية المتغيرة بشكل افتراضي، ويقرب المتلقي من الاستيعاب والتحليل والإدراك. ويساعد في شرح الظروف ومخاطرها وتوصيلها إلى المشاهد، من خلال تحريك انفعالاته وتحفيز قدرته لرؤية الظواهر من خلال تحفيز التفكير النقدي.

اضافة إلى شحة الموارد المالية تعاني الحركة المسرحية من ضعف البنى التحتية لعملها، مثل مقرّات وصالات التدريب والعرض

تحديد حجم التخصيص المالي لا يمكن أن يستند إلى نفس العناصر التي تخضع لها المنتوجات والسلع المطروحة في السوق

والمسرح، مثله مثل كل أنواع الفنون والثقافة، إذا كان أصيلاً، فهو عالم من الحرية، وربما يكون الفن هو المكان الوحيد الذي لا يزال من الممكن فيه عيش حرية القوة الإبداعية للإنسان، في خدمة الذات وفي لعبة الخيال. فإنه لا يخدم أي غرض مادي ضيق، بل هو، مثل كل العمل الإبداعي البشري، مكتفي ذاتياً، وبالتالي غاية في حد ذاته، مثل اللعب. والإبداع والحرية ضرورية لتطور المجتمع ولإضافة معاني وقيم جدية وجديدة للمجتمع. والحقيقة أن التجارب والممارسة الفنية هي رمز لكل إنجاز إنساني مبدع أصيل.

إن ادامة الثقافة يكلف مالاً، واغلب الأحيان لا تجلب الثقافة ربحاً وإذا جلبت فليس إلا اليسير. لهذا تنشط الحكومات والمؤسسات في البلدان المتقدمة بتقديم تمويل ودعم النشاطات الثقافية والمسرحية، ولولا هذا الدعم لم يكن بالإمكان عقد مهرجانات للمسرح، وإذا لم يتم دعم الكتب فستكون تكلفتها عالية جداً. وغالباً ما تدفع هذه الطبيعة المزدوجة للثقافة لنقاشات حول مدى وكيفية الدعم. للأسف فإن الكثير من البلدان العربية لا تعرف التمويل العام للمسارح والمعارض والأفلام، بينما في بلدان أوروبا فالأمر على العكس من ذلك.

وهذا ليس مفهوماً من ضرب الخيال، بل هو حقيقة واقعة يلزمه القانون الدولي فحماية الثقافة و"التنوع الثقافي" تمّ اقراره بموجب اتفاقية حماية وتعزيز تنوع أشكال التعبير الثقافي من قبل اليونسكو عام 2005. فتنص المادة 2 من الاتفاقية: "5- مبدأ تكامل الجوانب الاقتصادية والثقافية للتنمية، لما كانت الثقافة أحد المحركات الرئيسية للتنمية، فإن الجوانب الثقافية للتنمية لا تقل أهمية عن جوانبها الاقتصادية، وللأفراد والشعوب حق أساسي في المشاركة فيها والتمتع بها."

في البحرين تنضوي الفرق المسرحية الأهلية تحت رعاية واشراف هيئة الثقافة والآثار، ويتم تقديم دعم مالي سنوي، ولكن للأسف لا يتناسب هذا الدعم مع الكلف المطلوبة التي يحتاجها عمل ونشاط هذه الفرق، مما يؤثر كثيراً على عطاء الحركة المسرحية في المملكة بشكل عام.

اضافة إلى شحة الموارد المالية تعاني الحركة المسرحية من ضعف البنى التحتية لعملها، مثل مقرّات وصالات التدريب والعرض. إن تحديد حجم التخصيص المالي لا يمكن أن يستند إلى نفس العناصر التي تخضع لها المنتوجات والسلع المطروحة في السوق. وهنا يجب التفكير في تخصيص رواتب للممثلين والعاملين في الإنتاج المسرحي بما يتناسب مع متطلبات توفير العيش الكريم لهم كأفراد مبدعين في المجتمع، وتوفير الحماية لهم في حالات العجز الصحي أو نتيجة التقدم في السن، كما يجب التفكير في تعزيز المؤسسات التدريبية والأكاديمية العامة لإعداد وتأهيل كوادر العمل المسرحي مما يعزز مكانة مملكة البحرين في المنطقة. فللبحرين امتداد تاريخي في الثقافة وهذا يستحق أن يستمر.

التنوع والوحدة في إطار التنظيم

التنوع في إطار الوحدة هو أحد المفاهيم الاساسية الذي يفسر عمل مبدأ المركزية الديمقراطية الذي يعتمده التقدمي كأساس له في بناءه وعمله التنظيمي. وهذا ما نصت عليه المادة ٤/٦ من الفصل الثاني من النظام الأساسي المعنون بالمبادئ التنظيمية للتقدمي حيث جاء فيها بأن مفهوم التنوع في إطار الوحدة وتكريس حرية التفكير والاجتهاد والاحترام المتبادل للآراء، وحفظ حق الأعضاء بإيصال وجهات نظرهم في التقدمي هو أحد الأحكام الاساسية التي يقوم عليها مبدأ المركزية الديمقراطية.

فيصل خليفة

والتنوع في إطار الوحدة هي علاقة بين مفهومين متكاملين لا ينفصمان بعضهم عن بعض، وهما مفهومي التنوع والوحدة او كما تفسر هذه العلاقة بـ "الوحدة بدون توحيد والتنوع بدون تفتيت" ويشار إلى هذا المصطلح كتعبير عن الانسجام عندما تعود الأشياء إلى وحدتها الاساسية بالرغم من تنوعها.

ومبدأ التنوع في إطار الوحدة يقوم اساس على الاعتراف بوجود اختلافات وفروقات بين الناس والأفراد وهي ظاهرة طبيعية وسليمة يجب احترامها وعدم محاربتها او الغائها. بل على العكس يجب تشجيع حرية التفكير والاجتهاد ووجود الرأي والرأي الاخر والطريق الوحيد لتلمس الحقيقة وترسخها في أدهان الجميع وترسيخ الديمقراطية كأسلوب ومنهجاً للتقدمي في حياته الداخلية.

إن من مصلحة الوحدة و بقائها المحافظة على الاختلاف والتنوع لأن في بقائهما يكون الاغتناء والإثراء وفي غيابهما يكون التنازع والافتقار والتماهي مع الآخر فلا يكون هناك وجود إلا للصوت الواحد والرأي الواحد، وهو ما يؤدي في نهاية المطاف إلى الجمود والتفتت وتهاوي الوحدة. إن الخوف والخشية من الاختلاف والتنوع في الآراء هو امر غير صحي.

إذا كان هذا هو أهمية الاختلاف والتنوع في اطار الوحدة في حياة التنظيم فما هي الآلية التي تنظم هذا الاختلاف وهذا التنوع؟ والجواب هو هنا يجب التفريق بين مرحلتين مرحلة اولى يسبق فيها اتخاد القرار سواء كان بالأجماع او بالأكثرية وفي هذه المرحلة ليس هناك برايي حد لهذا الاختلاف و لهذا التنوع والاجتهاد في الآراء وفي وجهات النظر فهذا شيء ايجابي ومطلوب من اجل تحقيق الوضوح ورفع مستوى الفهم وتعميقه والاستماع الى جميع الآراء والتصورات حول الموضوع مهما كانت متباعدة ، ولكن بعد اتخاد القرار تعتبر الوحدة الصارمة في العمل ضرورية للغاية.

ومع هذا فإنه حتى بعد صدور القرار لا يمنع المختلف او الاقلية مع التزامهم بالقرار من ان يطلبوا بحث الموضوع مجدداً سواء في ذات الهيئة أو في هيئة أعلى أو طرحه في المؤتمر ولكن لا يجوز طرحه في خارج هيئات التنظيم وهذا ما نصت علية المادة 4/4 من النظام الأساسي للمنبر التقدمي.

ولكن هل من الممكن ان يكون التنوع والاختلاف أمر مطلقاً ومن دون اي ضوابط أو محددات والجواب من وجهة نظري هو أن يكون هذا التنوع والاختلاف محكوماً بشرطين أساسيين، أولهما ضرورة احترام هوية التنظيم بمعنى أن لا يخرج التنوع والاختلاف على سياسه التنظيم ومنطلقاته الفكرية والسياسية التي تبينها وثائقه و ترسمها مؤتمراته.

وبالنسبة للمنبر التقدمي فإن هويته كما حددتها وثائقه أنه امتداد تاريخي سياسي وفكري لجبهة التحرير الوطني البحرانية، وهو «تنظيم سياسي حزبي يتبنى المنهج العلمي المادي الجدلي والتاريخي في تحليل الواقع وفهمه، ويستلهم كل منجزات العلوم والتراث العربي الإسلامي والإنساني التقدمي وأفكار التنوير والحداثة والتقدم»، ويتسع لجميع المواطنين من النساء والرجال دون تمييز بسبب العرق أو الجنس أو المعتقد الديني الساعين لبناء المجتمع الديمقراطي التعددي والدولة القائمة على قيم الحرية والعدالة الاجتماعية، والنهوض بالأوضاع المعيشية لجماهير الشعب الكادح وتأمين متطلبات العيش الحر الكريم».

إذن هذه هي هوية التقدمي التي ينبغي أن يمارس الاختلاف والتنوع في إطارها ولا يخرج عنها. ومع ذلك فإن هذا لا يعني بأن مسالة الهوية وما يترتب عليها من أثار هي أمر خارج عن الحوار وإبداء حولها الآراء والتصورات المختلفة، بل على العكس فالهوية هي الأساس الذي يشكل الصورة الذهنية للتنظيم سواء الصورة الداخلية عند أعضائه وأصدقائه أم الصورة الخارجية عند الجمهور، والذي يستقي معلوماته عن التنظيم مما يقرأه أو يسمع عنه.

وبغض النظر عما إذا كانت هذه الصورة صحيحة ام خاطئة فإنها تُعد واقعاً لا يمكن تجاهله وتشكل جزء من هوية التنظيم. والهوية هي ليست بالشيء الجامد وإنما هي شيء يتغير ويتطور، وما يقدمه التنظيم من برامج وسياسات هو الذي يدعم هذه الصورة أو يغيرها لدى الجمهور.

ولذلك فإن صورة التنظيم تشكل دائماً هاجساً لديه من أجل البقاء والتميّز، ولذلك فهي تكون محل بحث ومتابعة لتظل الصورة عن التنظيم دائماً ايجابية.

أما الشرط الثاني الذي يجب أن يحكم التنوع والاختلاف هو أن يحافظ هذا الاختلاف والتنوع على آداب الاختلاف، أي احترام الرأي والرأي الآخر، ويكون سبيله إلى الاقناع هو بالدليل والمنطق والحجة وليس بالعصبية والتنازع، ويجب ألا يتحول هذا الاختلاف إلى خلاف يقود إلى التفرق والتنازع والتشتت.

واخيراً فإن مفهوم التنوع في إطار الوحدة هو مبدأ مهم وصحي في الممارسة الديمقراطية وفي ترسيخ الوحدة والانسجام داخل التنظيم ويجب احترامه والدفاع عنه وتهيئة الظروف والأجواء الملائمة التي تسمح بتفعيله في حياتنا الداخلية في المنبر التقدمي، لأن غياب النزعة النقدية في عملنا هو أمر غير صحي. وفي ذات الوقت يجب أن يمارس هذا النقد وهذا الاختلاف بمسئولية، ففي الوقت الذي يجب أن نحرص فيه على المحافظة على حرية التفكير والاجتهاد وتنوع الآراء فإننا يجب ايضاً أن نحرص على المحافظة على وحدة التنظيم وتماسكه وقدرته على القيام بدوره وأداء مهامه.

يجب تشجيع حرية التفكير والرأي والرأي الاخر فهو طريق تلمس الحقيقة وترسخها في أذهان الجميع

عودة ترامب..التوقعات والمخاوف

يبدو أن الفوز الكاسح للرئيس الاميركي القادم للبيت الأبيض دونالد ترامب، وحصوله على تفويض شعبي تجاوز كل التوقعات، خاصة عندما تجاوز بكثير ال ٢٧٠ صوتاً من أصوات المجمع الانتخابي، ليعود وبقوّة هذه المرة ومعه أغلبية كافية في مجلسي الشيوخ والنواب، مما سيتيح له المضي قدماً في تنفيذ برنامجه ووعوده الانتخابية، يؤازره في ذلك وبحسب المراقبين تداركه حتى الآن لما أسموه بفوضى التعيينات التي شابت فترة رئاسته الأولى، حيث باشر في استكمال عناصر حكومته القادمة بمجموعة منتقاة من الغلاة ممن يستطيع الثقة بهم بصورة تكفل له سلاسة الحكم وتحقيق أجنداته المعلنة وربما غير المعلنة خلال السنوات الأربع القادمة.

عبد النبي سلمان

على أن الأهم في امر وصول ترامب مجددا للبيت الأبيض بكل ما يحمله من زخم واحاديث ووعود سبقت إعلان فوزه، هو ما تناوله إبان حملته الانتخابية من قضايا أساسية لبلاده وللعالم الذي سيبقى الجميع منتظراً البدء في مباشرتها، حيث سيبقى البعض متفائلا بتغيير واقع بعض تلك القضايا ربما نحو الأفضل ، فيما يبقى البعض الآخر إما مراوحاً بين الحذر والخوف والتردد أو توقع حدوث الأسوأ!

وعلينا القول أولاً إن الانتخابات الأميركية هذه قد جرت وسط حالة من عدم اليقين والاستقرار العالمي، وصلت حدّ الاعتقاد أن عالمنا قد بات فعلاً على مشارف حرب عالمية ثالثة بفعل نهج الهيمنة ونشر الحروب الذي تبنته الدول العميقة الاميركية والغربية، وذلك ما شهدته السنوات الأربع الأخيرة من احداث توزعت على بؤر الصراع التقليدية والتي اعادت للواجهة حالة من عدم الاستقرار وبالتالي الجنوح تدريجياً نحو استعادة التعددية القطبية التي باتت ملامحها مرئية بوضوح في ظل حدة الصراعات وقسوتها إبتداءا من الحرب الاوكرانية–الروسية وما تبعها من تدخلات مباشرة وسافرة للولايات المتحدة الاميركية ودول حلف الناتو إلى جانب أوكرانيا في محاولة لإضعاف وإرباك الدور الروسي المتنامي كقوة كبرى صاعدة أو في طريقها للصعود، مسنودة بتحالفات جديدة على المستويين الاقتصادي ضمن مجموعة دول "بريكس" ومن بينها الصين، والتعاون العسكري واللوجستي مع إيران وكوريا الشمالية خلال الفترة الأخيرة، في بعض جوانب ومفاصل هذا الصراع، وما جرى من حصار اقتصادي وعسكري لروسيا، حيث أظهر تحالف "أوبك بلاس" بقيادة كل من المملكة العربية السعودية وروسيا تماسكاً مؤثراً انعكس على ادارة تعاضدية للحفاظ على استقرار أسواق النفط بالحد الذي لم تحدث معه اختلالات كبرى مؤثرة بشكل كبير تضر بمصالح المنتجين الكبار على أقل تقدير.

وعلى الجانب الآخر فإن أحداث السابع من أكتوبر انطلاقا من أرض غزة وبطولات أبناءها المجردين من كل شيء، إلا من إيمانهم بقضية شعبهم وحقهم في ارضهم الطاهرة، أفرزت إرباكاً لكامل المشهد العالمي والعربي على حد سواء، ومازال ذلك قائما حتى اللحظة، وسط دمار شامل ومشروع إبادة جماعية صهيوني أدانته غالبية الدول في الأمم المتحدة ومعها كل الشرائع الدولية وفي مقدمتها محكمة العدل الدولية، وشاركت فيه الولايات المتحدة والعديد من الدول الغربية وفي مقدمتها إنجلترا وفرنسا وألمانيا بالدعم المباشر وكثافة التسليح والمواقف الداعمة سياسيا ولوجستيا إلى جانب الكيان الصهيوني، الذي بات يخوض حرباً همجية بوجهه النازي القبيح في قطاع غزة الذي أضحى مدمرا بصورة شبه كاملة، واستشهاد اكثر من 50 ألف فلسطيني وأكثر من مائة ألف جريح وملايين النازحين، حيث يتمدد غرور وهمجية دولة الكيان الصهيوني إلى الضفة الغربية، واستهداف لبنان بعبثية ودمار وتفجيرات واغتيالات لا تتوقف، وسط صمود ومقاومة أسطورية في غزة وفلسطين ولبنان،وفي ظل صمت يشبه الفاجعة على المستوى الرسمي العربي.

تلك الملفات الشائكة يضاف اليها بطبيعة الحال توترات بحر الصين والصراع المحتدم بين الولايات المتحدة والصين والتنافس التجاري والاقتصادي الذي وصل ذروته واحتلّ مكاناً مهماً في الخطابات الانتخابية للرئيس الاميركي المنتخب ترامب وتوعداته بتطبيق تعرفة جمركية جديدة، والتي يعتبرها العديد من المراقبين امتداداً لما حصل إبان دورته الرئاسية الأولى التي سبقت وصول الرئيس المنتهية ولايته جو بايدن، علاوة على ما يلف العلاقة القادمة مع إيران وملفها النووي من غموض مشوب بتطمينات وتعامل سياسي وديبلوماسي حذر من كلا الطرفين حتى الآن، انتظارا لما ستسفر عنه المؤشرات الأولى لكيفية وفاء الرئيس المنتخب بتقليص الحروب وحل الأزمات والتركيز على الداخل الأميركي، رغم أن الثمن المقابل لذلك لازال مجهولا بكل تأكيد، وسط غموض عما يمكن ان تقدم عليه لاحقا الدولة العميقة في الولايات المتحدة، المتهمة حتى الآن بمحاولتي اغتيال للرئيس المنتخب إبان حملته الانتخابية الأخيرة.

كل تلك المؤشرات وغيرها في دوائر الصراعات القائمة عالمياً، كتلك التي في أفريقيا ومن بينها الحرب المتوحشة الدائرة في السودان والعراق وسوريا والملف اليمني، الذي لازال معطلا دون حلول وخلاصات، علاوة على ما يمكن أن تحدثه سياسات الرئيس الاميركي المنتخب من اختلالات منتظرة بالنسبة لأسواق النفط والابتزاز المتوقع لبعض الدول المنتجة، مقابل الاستمرار في توفير الحماية والدعم، يضاف إليه ما يمكن أن تحدثه تلك السياسات على مستوى دول اميركا اللاتينية والمخاوف الجدية القائمة حاليا لدول الناتو والدول الغربية بشكل عام مما ستفرضه سياسات "ترامب" من متاعب اقتصادية وعسكرية وتوترات لها.

كل ذلك وأكثر ربما يصعب التنبؤ به مع عودة ترامب للبيت الأبيض وما يحمله معه من مخاوف جدية لشركائه الغربيين وبقية حلفاء الولايات المتحدة بما فيهم دولة الكيان وهي تخوض حربها القذرة في فلسطين ولبنان وتهدد كافة دول الإقليم دون رادع دولي، وأدنى مسؤولية تجاه ما يمكن أن يحدث من تداعيات...إنها حقا عودة محفوفة بالكثير من الهواجس والقلق والمخاوف الجدية لرئيس قادم يصعب التكهن بتصرفاته وهو الذي أسمى نفسه يوما بالرئيس المجنون!

(قف)

المفهوم المعاصر للتسامح

فهد المضحكي

ليس من الممكن أن تترسخ ثقافة التسامح، في ظل الإقصاء والتهميش الاجتماعي، فالمجتمعات المليئة بالشكوك والكراهية، مجتمعات لا تشجع على الحوار الوطني والتوافق! لم تكن أعمال العنف، وإثارة الفتن الطائفية والمذهبية، والتعصب، ومصادرة الحقوق والحريات، ورفض فصل الدين عن السياسة سوى تحديات كبيرة أمام التسامح .ومن هنا، فإذا كان مفهوم التسامح لدى البعض، أتخذ كشعارٍ لإطفاء بؤر التوتر والفتن والأحقاد، فإن حل الخلافات والنزاعات على أساس احترام الآخر، واعتماد حقوق المواطنة للجميع، ونبذ التسلط والعنف والإرهاب، وضمان الحريات، قاطرة تؤدي أن يكون التسامح ركيزة حضارية للمجتمع الديمقراطي.

وإذا كان مفهوم التسامح – في نظر الكنيسة – استطاع تجاوز حدود الدين واقترن بحرية التفكير وبدأ ينطوي تدريجياً على منظومة من المضامين الاجتماعية والثقافية الجديدة، فإن المفهوم المعاصر للتسامح يقوم على مبادئ حقوق الإنسان العالمية، ومن هنا لقد ربطت وثيقة إعلان المبادئ العالمي الصادر في نوفمبر 1995 بين التسامح وحقوق الإنسان والديمقراطية والسلم؛ وبالتالي ارتقت بالتسامح إلى صورة قيمة قانونية تتطلب الحماية من قبل المجتمع الدولي.

ترى الفدرالية السورية لهيئات حقوق الإنسان في دراسة لها عن مفهوم التسامح، في مواجهة كل أشكال التعصب والتطرف والانغلاق، إنه كلما غابت ثقافة الإقرار بالتعدد والاختلاف والتكافؤ داخل المجتمع، كلما اتسع المجال أمام ظاهرة عدم التسامح.

ومن أبرز ما خلصت إليه الدراسة، أن سلوك الأفراد والجماعات مازال متأثراً إلى حد بعيد بثقافة التسلط والهيمنة، وادّعاء امتلاك الحقيقة، لأن التربية العائلية مازالت تقوم في الغالب على سلطة الأب ووجوب الطاعة، وعدم المشاركة من طرف باقي أفراد الأسرة فيما يقرره، كما أن التربية في المدرسة مازالت تقوم على التلقين، وتصور المعلم بأنه لا ينطق إلا بالحقيقة التي لا تحتاج نقاش، ولا تقبل رأياً مخالفاً، والنشاط الديني لبعض الجماعات يقوم على التشدد والغلو والتطرف وتكفير من لا يشاطرونهم نفس الأفكار المتطرفة، والابتعاد عن المجادلة بالتي هي أحسن، والتنكر للاجتهادات، وكذلك بالنسبة للطقوس التقليدية للعمل، بالإدارات ومؤسسات الشغل مازالت – رغم وجود قوانين حديثة – تضع المسؤول أو رب العمل في موقع (المعلم) والموظفين والعمال في موقع (المتعلمين) الذين ما عليهم إلا تنفيذ التعليمات والأوامر، والويل والثبور لمن يحاول إبداء أفكار تتناقض أو تعارض أو تنتقد ما يراه أو يقوله المسؤول، أو يحاول تنبيه إلى خطئه، أو تجاوز لصلاحياته، وكذلك فإن السلوك السياسي كثيراً ما يقوم على إقصاء المعارضة أو تحجيمها، وتغيب الممارسة الديمقراطية السليمة، فكل هذه العوامل والمؤشرات تهيئ التربة الخصبة لنمو ظواهر التعصب والتشدد وعدم التسامح!

إن ما يطبع علاقات الدول من عدم التكافؤ، وترجيح مصالح التكتلات الدولية الكبرى، ونزعة الهيمنة واستعمال القوة، ينعكس بكيفية سلبية على دول العالم الثالث، وخاصة تلك التي لاتزال تائهة في البحث عن طريق النمو، أو لا تحسن استعمال مواردها، أو تفتقر لمقومات النهوض الذاتي، مما يجعلها عرضة للهيمنة والاستغلال من طرف الدول العظمى، ليس بحكم ما لهذه الأخيرة من قوة اقتصادية فحسب، وإنما كذلك بسبب نفوذها السياسي داخل المحافل الدولية، فتأتي ممارساتها في كثير من الأحيان مناقضة لقيم التسامح، ومبادئ حقوق الإنسان التي يتحدث عنها المنتظم الدولي وهيئاته المختصة، وتنعقد بشأنها العديد من المؤتمرات، وتدرج قواعدها ضمن صكوك ومواثيق دولية تبقى سجينة الإطار النظري، أو تستعمل سلاحاً من طرف الدول العظمى، والمؤسسات الدولية الخاضعة لهيمنتها، في مواجهة بعض الأنظمة السياسية في دول العالم الثالث، بقصد ابتزازها، أو عزلها داخل المجتمع الدولي!

ومن أغرب المفارقات التي تميز عصرنا الحاضر، أن بعض الدول التي تعتبر نفسها "قدوة" في الديمقراطية وحقوق الإنسان تسهم بطريقة مباشرة أحياناً وغير مباشرة أحياناً أخرى، في إذكاء ظاهرة عدم التسامح في البلدان المختلفة، قصد إخضاعها لهيمنتها الاقتصادية والسياسية، كما تساهم في إعاقة تنميتها، وذلك بالحرص على إرساء نظام اقتصادي عالمي يكرس الاختلالات القائمة، ويعمق أكثر الهوة الموجودة بين الشمال والجنوب، وينهك جهود الدول السائرة في طريق النمو، في عملية تسديد الديون وفوائدها، مما يجعلها تواجه صعوبات اقتصادية واجتماعية كثيرة تهدد استقرارها، وتزرع بداخلها بذور الاضطراب والعنف.

وليس غريباً أن تكون الأسلحة الفتاكة التي تحصد الأرواح البشرية، وتدمر العمران، وتهدد الموارد في بلدان العالم الثالث على الخصوص، من صنع الدول المنادية بالسلم والتسامح وحقوق الإنسان.

وحينما تصل العقوبات السياسية والاقتصادية المفروضة على بعض الدول باسم منظمة الأمم المتحدة، تحت ضغوط الدول العظمى، إلى درجة إهدار أرواح عشرات الآلاف من الأبرياء، من أطفال وشيوخ ونساء، بسبب الحصار المؤدي إلى التجويع والتشريد والموت، في هذه الحالة لا نكون أمام صورة من الصور البشعة لعدم التسامح فقط، أو أمام تخلي المنتظم الدولي عن المبادئ التي تأسس من أجلها، وأنما نكون أمام وضع تنعدم فيه أي قيمة من قيم الإنسانية!

الذاكرة الإشتراكية المشرقة

يتم تذكر العواطف بشكل أفضل من الحقائق. لا يزال التلقين العاطفي في الفترة الشيوعية يؤثر على مواقف الناس تجاه الاقتصاد الاشتراكي، كما اكتشف العلماء باستخدام مثال سكان ألمانيا الشرقية.

يتم تذكر الأحداث المشحونة عاطفيًا بشكل أفضل من الأحداث المحايدة، وتستمر في التأثير على مواقف الأشخاص وسلوكهم حتى بعد مرور سنوات. في الاقتصاد والمالية، تتجلى هذه الظاهرة، على سبيل المثال، في حقيقة أن سلوك المشاركين في سوق الأوراق المالية، والتوقعات التضخمية للسكان أو نشاطهم الاستهلاكي غالبا ما لا تتناسب بشكل جيد مع النظرية الكلاسيكية للاختيار العقلاني. وبالتالي، يميل الناس إلى إرجاع احتمالية أكبر إلى السيناريو الذي مروا به بالفعل: بفضل العنصر العاطفي، قد تكون التجربة الشخصية أكثر أهمية من الحقائق عند اختيار خيارات القرار.

حسين الشويخ

كما لوحظت تشوهات مماثلة في الإدراك بين الأشخاص ذوي التعليم العالي وذوي المعرفة الجيد . ولذلك، فمن غير المرجح أن ترتبط بأخطاء معرفية بسيطة ولا يمكن تصحيحها عن طريق تحسين الثقافة المالية والتعليم.

علاوة على ذلك، اعتمادا على الإدراك العاطفي الشخصي، يمكن أن تشكل نفس الظاهرة معتقدات معاكسة مباشرة بين الأشخاص الذين عانوا منها. في بحث منشور في مجموعة الجمعية الاقتصادية الأمريكية، يستخدم الاقتصاديون مثال المقيمين الألمان لاستكشاف كيف تؤثر تجربة العيش في ظل نظام اشتراكي على المواقف الحالية تجاه الأيديولوجية الشيوعية والرأسمالية.

تمت إعادة توحيد الأجزاء الاشتراكية الشرقية والرأسمالية الغربية من ألمانيا قبل خمسة وثلاثين عامًا. ويشير العمل إلى أن هذا يوفر فرصة فريدة لدراسة التأثيرات العاطفية للذاكرة، حيث يعيش جميع الألمان الآن في نظام اقتصادي وقانوني واحد ويتمتعون بإمكانية الوصول إلى نفس نظام الضمان الاجتماعي.

علامة عاطفية

استند العمل إلى دراستين استقصائيتين أجريتا في يوليو وديسمبر 2018. شمل الأول سكان ألمانيا الغربية والشرقية، والثاني شمل سكان شرق ألمانيا فقط. وكانت نسبة الجنس والمستوى التعليمي ومتوسط الدخل الشهري الصافي للمستجيبين متشابهة في كلا الاستطلاعين. وكان متوسط عمر العينة الأولى 49 سنة والثانية 46 سنة.

أجاب المشاركون على الأسئلة التي سمحت لهم بتقييم ومقارنة مواقفهم تجاه تنظيم الاقتصاد في النظام الشيوعي والرأسمالي. أظهرت مقارنة الإجابات أن سكان شرق ألمانيا عمومًا لديهم موقف أكثر إيجابية تجاه الشيوعية، بغض النظر عن الدخل والتعليم والتصور الشخصي لمستوى المعيشة. ثم كرر الخبراء الاستطلاع فقط بين سكان الجزء الشرقي من ألمانيا، وأدخلوا وكيلين في الدراسة – الذكريات العاطفية الإيجابية والسلبية للحياة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية الاشتراكية.

كانت النجاحات الرياضية التي حققتها جمهورية ألمانيا الديمقراطية بمثابة مؤشر على المشاعر الإيجابية: فقد اعتبر نظام ألمانيا الاشتراكية الروح الرياضية أداة مهمة للتلقين وإثبات تفوق الشيوعية على النظام الرأسمالي في ألمانيا الغربية. كان اضطهاد المؤمنين مؤشرًا على المشاعر السلبية: فقد اعتبرت العقيدة الشيوعية الدين وسيلة لقمع الطبقة العاملة من قبل الطبقة الحاكمة، وعانت بعض المناطق التي كانت فيها تقاليد وثقافة الكنيسة الكاثوليكية قوية بشكل خاص، بشكل خطير من ضغوط الدولة. النظام الشيوعي.

اتضح أن سكان الجزء الشرقي من ألمانيا، الذين تذكروا الفترة الاشتراكية في حياة البلاد بمشاعر إيجابية (انتصارات رياضية)، هم اليوم أكثر ميلا إلى تفضيل الشيوعية على الرأسمالية، ومواطنيهم الذين لديهم تجربة عاطفية سلبية الحياة في جمهورية ألمانيا الديمقراطية – على العكس من ذلك. وبالتالي، فإن الأشخاص الذين عاشوا في نفس المنطقة مع الأبطال الأولمبيين (18٪ من العينة الثانية) وبشكل عام المؤيدين لفرضية التفوق الرياضي لجمهورية ألمانيا الديمقراطية على جمهورية ألمانيا الاتحادية (62٪) لا يزالون أكثر ميلاً إلى ذلك. يعتبر الألمان الشرقيون الآخرون أن الشيوعية هي أفضل شكل من أشكال العلاقات الاقتصادية مقارنة بالرأسمالية. بل على العكس من ذلك، فإن المزيد من المشاركين المتدينين، بما في ذلك سكان المناطق الكاثوليكية الأكثر تضرراً من اضطهاد الكنيسة (10٪ من العينة)، ينظرون إلى الشيوعية على أنها أسوأ من الرأسمالية.

في المتوسط، يؤدي العيش في جمهورية ألمانيا الديمقراطية إلى تحسين موقف الشخص تجاه الشيوعية، ويخلص الباحثون إلى أن نسبة أعلى من الألمان الشرقيين تعتقد أن الاقتصاد الشيوعي يعمل بشكل أفضل، وأن الرأسمالية تجعل الأغنياء أكثر ثراءً ويجب أن تكون محدودة، وأن الفكرة الاشتراكية يجب أن تكون أكثر ثراءً. تصبح حقيقة.

ويشير المؤلفون إلى أن التجربة العاطفية الإيجابية الشخصية أكثر أهمية من الصعوبات التي تواجهها الحياة الاشتراكية. في أواخر الثمانينات . كان نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في جمهورية ألمانيا الديمقراطية أقل من 40٪ من مستوى جمهورية ألمانيا الاتحادية، وكانت نسبة الأسر التي لديها تلفزيون ملون وسيارة إلى النصف، وكانت الأسر التي لديها هواتف أقل بنحو 10 مرات مما كانت عليه في ألمانيا الاتحادية. جمهورية ألمانيا.

إن تجربة العيش في ظل النظام الشيوعي لها تأثير طويل المدى على الإيمان بفوائد الشيوعية، حتى بعد سنوات عديدة من فشل التنفيذ العملي لهذا المبدأ، يقول المؤلفون: "إن هذه التجربة راسخة بعمق في ذاكرة الناس. تؤثر المشاعر الإيجابية والسلبية بقوة على الميول المؤيدة والمناهضة للشيوعية. يبدو من الصعب التغيير حتى بعد مرور سنوات عديدة».

ضحـايـا «فــرجـــان لـــوّل»

ذات يوم من ايام تسعينيات القرن الماضي انضمّ إلى مؤسستنا في «الأيام» شاب صحفي مستجد، لفتني اسم عائلته فسألته عن صلته برجل عاش في حيّنا بالنعيم. تقصدين عمي فلان؟ أجبته نعم، وأين هو الآن ؟ قال: العائلة انتقلت إلى منطقة أخرى لاحقاً، وأما عمي فقد توفي إثر نوبة قلبية، وربما تعلمين أنه كان مريضا بالأعصاب وساهم «حيّكم» في تفاقم حالته.

عصمت الموسوي

عبيط الحي أو مريضه أو مجنونه أو سكيره أو ارجوزه، نماذج بشرية شهدناها في طفولتنا في أزقتنا الفقيرة المزدحمة ذات البيوت الضيقة والمتراصة والمنعدمة بينها المسافات، ولا يخلو حيّ بحريني من «خميسو» و»سلمانو» و»زهرو» و»عبدو». إنهم أبطال الأفلام والمسرحيات الحية التي يصيغها ويخرجها أهل الفريج ويرقص على وقع ألحانها هؤلاء المساكين. كان الزمان وقتها فقيراً في كل شيء، وأوّلها احتياجات الأطفال، فلا حدائق ولا ألعاب ولا وسائل تسلية ولا طرائق للتنفيس، كذلك فإن الجهل والفقر وضعف الوعي وانعدام ثقافة حقوق الإنسان في ذلك الوقت لم تكن ترى غضاضة ولا سوءاً أو خطأ في انتهاك حياة هؤلاء.

أتذكر كيف كان يجري الأمر مع من يسمونه بعبيط الحي، وهو صبي صغير ويتيم خسر المدرسة مبكراً على خلفية تأخر وبطء نموه الجسدي والعقلي، وشهدت بنفسي الممارسات القاسية التي كان يتعرض لها، يُضرب ويُهان ويُقذف بالحجارة، ويُزف يومياً بالتصفيق وإطلاق التسميات، عُذّب وعانى أخوانه وأسرته، وتبيّن لاحقا أنه عانى من طيف التوحد.

ومجانين الحي في حيّنا القديم كانوا أكثر من واحد. أحدهم ذلك المخمور ليلاً ونهاراً، والذي يقرر التوبة والإقلاع عن تناول المسكر في شهري رمضان ومحرم فقط، لكنه يخفق في انجاز وعده، ويعود إلى مسلكه السابق، وخلال شهري التوبة العصيّة يتعرض للتنمر والإزدراء والسخرية. ذات مرة احتاج إلى الشراب فلم يجده، توّسل الاهل والمعارف والاصدقاء وحين رفض طلبه، هدد بانتهاك حرمات المساجد والمآتم، فتطوّع أحد المصلحين ومنحه مبلغاً من المال مقابل الرحيل عن الحي «خير شر».

والمجنون ذو الصرع، العاطل عن العمل والمفلس، لكنه «حظيظ» ورابح في لعبة القمار، يلعب فيكسب ويخسر الآخرون، ينتهزون الفرصة عبر استثارة غضبه واستفزازه، يهتاج فيغمى عليه ويسرقون المال الذي كسبه، وحين يستيقظ ويرى جيبوبه الخالية، يقتحم بيوتهم ويفتش عليهم في الغرف، وهو يلعلع بصوته الجهوري مهدداً ومتوعداً بالانتقام منهم.

وعبود المجنون طلّق زوجته في مقتبل حياته، خرج من بيته وهام على وجهه، تجده في الطرقات «يشبر ويعبّر»، وهو يحادث نفسه، ويخرق الإشارة الضوئية ويسير عكس خطوط المشاة، تصدح خلفه أبواق السيارات وتنطلق الحناجر بالسباب عليه، قضى نحبه في حادث سير لاحقاً، وقال أهل الحي وقتها: استراح الناس من سماع كلماته النابية والخادشة للحياء.

ولو نظرنا اليوم إلى هذه النماذج بمنظورعلمي فاحص لربما وجدنا أنهم اشخاص عاديون جداً، أو ربما مختلون نوعاً أو مأزومون نسبياً، وأنهم بشيئ من العلاج النفسي ربما قد يعودون إلى جادة الصواب إلا أن البيئة المحيطة الظالمة فاقمت من أمراضهم.

تضمّنت الروايات البحرينية والأعمال الدرامية الكثير من هذه الشخصيات، ويروي الكاتب والمخرج الدرامي راشد الجودر كيف استوقفته سيدة بحرينية زاعمة أن خالها تعرض للإساءة في المسلسل الشهير»سعدون» عام 1998، وأنها سوف تقاضيهم إن لم يغيّروا اسم وشخصية «سنتول». ازاح الجودر حرفاً واحداً من الاسم ونجى المسلسل من المساءلة القانونية في حلقاته اللاحقة، إلا أن الكاتب عقيل سوار انبرى وقتها بمقال صحفي طويل مدافعا عن شخصية «سنتول» الذي قال إنه يعرفه عن قرب، باعتباره صديق طفولته ورفيق صباه، وحسب عقيل فقد ظلم سنتول وجنت عليه السياسة وأهل الفريج ثم العمل الدرامي سعدون. أنحى عقيل باللائمة على كاتب العمل الذي استخفّ بالشخصية لجهله بها، بماضيها وتاريخها، ولم ير ذلك الشاب الفطن الذكي الفنان، وكان جديرا به استثمارها وإماطة اللثام عن جذورها وتوظيفها بشكل يغني العمل ويعيد بعض الاعتبار لهذه الشخصية المبدعة والخلاقة بدلاً من تصويرها بشكل مهين.

كثيرون ربما يتذكرون ضحاياهم في الأحياء التي نشأوا فيها، وكيف أنهم أذنبوا بحقهم وربما تبيّن لهم أنهم مدينون لهم باعتذار متأخر لما تسببوا به في مضاعفة شقاء هؤلاء المساكين. ليست احياء وفرجان "لوَل" كلها عسل وطيبة واخلاق، إنما انطوت في أحيان عديدة على مظالم وهيمنة قوي على ضعيف، وغني على فقير، و"فتوة" على مجنون وعبيط ومستضعف. إنه الصراع ذاته الذي تشهده البشرية في كل زمان ومكان مع اختلاف المسببات والمسميات.

الشيوعية الأوروبية:
قيام وسقوط مشروع الأمل (٢)

ترجمة:
غريب عوض

بقلم:
Andrea Donofrio

بعض خصائص الشيوعية الأوروبية

لم تَكُن الشيوعية الأوروبية ظاهِرة جديدة، بل كانت في الواقع 'تكثيفاً للتوجهات' التي كانت موجودة في هذه الأحزاب في السنوات السابقة'. وكما ذكرنا بعاليه، كانت في معضمها نتيجة لِأزمة السبعينيات، كان عَقداً حاسماً من التغيير بين مرحلتين مُختلفتين: حِقبة النمو الذي قد بدأ بعد عام 1945، وبداية عالم جديد تَميّز بتغييرات كُبرى. وفي هذا السياق، بدأت الأحزاب الشيوعية في أوروبا الغربية التفكير بدرجة من فك الإرتباط مع التفسيرات الكلاسيكية للماركسية اللينينية، وخِطابها، خوفاً من أن تُصبِح مُجرد مجموعات تشهد على ما يحدث – طوائف يوتوبيا غير قابلة للتحقيق.

في هذه الأحزاب، كان النِقاش يدور بشكل رئيسي بين أولئك الذين يُؤدون إعادة تجديد إستراتيجية الحزب وطريقة عمله بما يتماشى مع المجتمعات التي كانوا ينشطون فيها، وأولئك الذين دافعوا عن الإشتراكية السوفيتية. وشعر قادة الشيوعية الأوروبية بأن العبء العقائدي القديم أدى إلى تقليص فُرَصُهُم في كسب الدعم في البُلدان الأكثر تطوراً ثقافياً وأقتصادياً من الإتحاد السوفييتي قبل الحرب. إن الإلتزام بالشيوعية الأوروبية يمكن إعتباره تمريناً في السياسة الواقعية، مدعوماً بِفكرة مفادُها أنهُ من الممكن وضع مسار وطني ومُستقل يأخذُ بعين الإعتبار الظروف المُحددة للبُلدان المُختلفة – تاريخها ومؤسساتها وخصائِصُها الإجتماعية والثقافية – عند تحديد كيفية تحقيق هدف إنشاء مجتمع إشتراكي. وضمن هذا النهج إقترحت الأحزاب الشيوعية الأوروبية أن تحول المجتمع إلى الإشتراكية ينبغي أن يكون مُتدرجاً وديمُقراطي وسِلمي ووطني.

كان مُصطلح الشيوعية الأوروبية – وهو مُصطلحٌ جديد غير كامل – يهدف إلى الإشارة إلى تطوّر جديد إلى حدٌ كبير. ورقم أن بعض الأحزاب كانت قد طرحت بالفعل فكرة الطريق الوطني نحو الإشتراكية (على سبيل المثال، الأحزاب الشيوعية في إيطاليا وفي فرنسا وفي إسبانيا)، فإن كلٌ من هذه الطُرُق الوطنية كان يُنظَر إليه في السابق بإعتباره مُختلفاً عن الطُرُق الأخرى، وذلك بسبب الوضع التاريخي الخاص بكلٌ منها. وقد أوضح استخدام المُصطلح الجديد الوجود المُحتمل للشيوعية "الغربية"، المُوحدة والمُتميّزة، والتي من شأنها أن تأخذ بعين الأعتبار كلُ من التفردات الوطنية ووجود عددٌ من العناصر المُشتركة فوق الوطنية.

وخلال عملية 'تكوين' الشيوعية الأوروبية، إتبعت البُلدان الثلاثة المُشاركة في المشروع مَسارات مُختلفة: ربما كانت إيطاليا هي الأمةُ الأولى للشيوعية الأوروبية، ونقطة البداية للعملية وأول من روج لمثل هذا المشروع؛ وكانت مُساهمات الزُعَماء السابقين للحزب الشيوعي الإيطالي أنطونيو غرامشي Antonio Gramsci و باليرو توليياتي Palmiro Togliatti، فضلاً عن فكرة إنريكو بيرلينجير Enrico Berlinguer المُعاصِرة عن "التسوية التاريخية"، أساسية في إعداد المشروع وأرست الأُسُس لتطوره المُستقبلي.

ومن جانبه، يمكن إعتبار الحزب الشيوعي الفرنسي بمثابة "القفزة النوعية" الأكبر. فقد كان الحزب الشيوعي الفرنسي هو الحزب الشيوعي الأكثر تأييداً للستالينية بين الأحزاب الشيوعية الأوروبية، وكان قادتهُ دوماً الأكثر تأييداً للسوفييت. ولكن في سبعينيات القرن الماضي، بدأ الحزب الشيوعي الفرنسي في إتخاذ مواقف أكثر إنتقاداً، فروّج لِفكرة "الطريق إلى الإشتراكية بألوان فرنسا". وكان قبول مبادئ الشيوعية الأوروبية، إلى جانب درجة من القومية، سبباً في دفع الحزب الشيوعي الفرنسي بعيداً عن موسكو نحو المواقف المُشتركة للحزب الشيوعي الإسباني والحزب الشيوعي الإيطالي.

وأخيراً، بالنسبة لقضية الحزب الشيوعي الإسباني، فإن الشيوعية الأوروبية مثلت نقطة نهاية التغييرات الإستراتيجية والنظرية التي كانت تحدث على مدى عددٌ من السنوات السالفة ولا تزال مُستمرة، تدعمها حقيقة أن الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الشيوعي الإيطالي قد شَرَعا في مَسار مُماثل. وفي أسبانيا، عَمَلت الشيوعية الأوروبية على ترسيخ وتعميق سِلسِلةٌ من القرارات التي قد تم إتخاذها مُنذُ خمسينيات القرن الماضي.

من بين العناصر الأساسية للشيوعية الأوروبية، ينبغي تسليط الضوء على ما يلي: في البدء كان هناك تأكيد على أستقلالية مُختلف الأحزاب الشيوعية في تطوير خطها السياسي بِحُرية، بإنفصال واضح بشكل مُتزايد بين هذه الأحزاب وشيوعية موسكو. وقد أرتاب الشك الأحزاب الشيوعية في أسبانيا وفرنسا وإيطاليا حول وجود حزب قائد أو مُرشد يمكنها أن تخضع لهُ. ثانياً، كان هناك إعادة تعريف للعلاقات مع الأحزاب العُمالية الأخرى، وخاصةً مع الأحزاب الإشتراكية والديمقراطية والإشتراكية الديمقراطية. ثالثاً، كانت هناك مُحاولة لتكييف مفهوم الإشتراكية واستراتيجية الإنتقال مع الظروف الخاصة للرأسمالية المُتقدمة فضلاً عن خصوصيات كلُ بلد.

وأخيراً، حاول الشيوعيون الأوروبيون أيضاً أن يُميّزوا بأنفسهم عن الديمقراطية الإجتماعية، في الأساس من أجل تفادي نقد المُحللين مثل إيرنيست ماندِيل Ernest Mandel صاحب 'الديمقراطية الإجتماعية' والشيوعية الأوروبية، أو غيرهم ممن وصفوا المشروع الشيوعي الأوروبي بأنهُ شكل من أشكال الديمقراطية الإجتماعية المُتدهورة. وجاءت الإستجابة الأكثر صراحة لهذه الإنتقادات من زعيم الحزب الشيوعي الإيطالي أنريكو بيرلينجير Enrico Berlinguer، الذي زعم أن الشيوعية السوفييتية والديمقراطية الإجتماعية في أوروبا الغربية "إقتصرتا على إدارة الرأسمالية". ولهذا السبب، دافع بقوة عن الحاجة إلى إيجاد طريق ثالث ورفض فكرة مُحاولة إضفاء الطابع الإجتماعي الديمقراطي على الحزب الشيوعي الإيطالي.

ومن بين العناصر المذكورة بِعاليه، كانت أول نقطة لاشك ذات إهتمام خاص:

أعلنت الشيوعية الأوروبية في تصريحات مُتعددة مُشتركة وفي مؤتمرات ودولية، إن القاعدة العامة لمشروعها كان الإعتراف الضروري بألأستقلالية التامة لِكُلِ حِزب في وضع خطهُ السياسي الذاتي. إن التحرر من الوِصاية التقليدية لموسكو، من حيثُ المبادئ التنظيمية والدعم الإقتصادي وحتى الأرتباط العاطفي، كان الخطوة الأولى نحو التشكيل اللاحق لِقطبٌ شيوعي أوروبي من شأنه أن يُنسق بشكل فعّال تَصرُفات الأعضاء المُختلفة ويجعل الهدف المُعلَن للتحول الإشتراكي قابلاً للتصديق.

ومع ذلك، لم يتحقق الإنفصال بشكل كامل أبداً: فالأحزاب الشيوعية الأوروبية لم تنفصل رسمياً قط عن الإتحاد السوفييتي، على الرغم من أنهُ كان هناك 'التباعد الواضح، والنزاعات المَريرة، والتأكيد الواضح على الإستقلالية في صياغة خطها السياسي الخاص.

والعُنصر التعريفي الآخر للشيوعية الأوروبية الذي يستحق الذكر نظراً لوزنهِ في مُناقشات الحزب الداخلية وفي إنتقادات مُنتقديه هو العلاقة بين الإشتراكية والديمقراطية. طَرَحَ الشيوعيون الأوروبيون مفهوماً جديداً للديمقراطية، الذي أصبح مُلائماً على نحو خاص حينما بدأ إعادة تقييم فكرة الديمقراطية في السبعينيات، كنتيجة لثلاثة عوامل مُترابطة: رُعب التجربة الفاشية؛ والإنهيار البطيء للإسطورة السوفييتية (وخاصةً بعد إدانة جرائم ستالين في المؤتمر العشرين للحزب الشيوعي السوفييتي)؛ والإدراك بأن الطريق الثوري إلى الإشتراكية قد تراجع نِهائياً بإعتبارهِ منظورا استراتيجيا في الديمقراطيات البرلمانية الحديثة حيثُ كانت الرأسمالية أكثر تطوراً.

في رأي هذه الأحزاب: 'إن الأشتراكية سوف تُمثّل شكلٌ أعلى من الديمقراطية والحُرية: الديمقراطية المُحققة في شكلها الأكثر إكتمالاً؛ إن الطريق إلى الإشتراكية وبناء المجتمع الإشتراكي لابُدَ أن يحدث في إطار الديمقراطية المستمر للحياة الإقتصادية والإجتماعية والسياسية. كان الطرح من أجل ديمقراطية تقدُمية التي تمتد عبر المجتمع من خلال مؤسسات نيابية، تدعم ديمقراطية شعبية حقيقية للجماهير.تم تقديم المفهوم الجديد للديمقراطية، وفقاً لفكر غرامشي، كجزء من عملية نِضالية من أجل 'الهيمنة' في جميع نواحي المجتمع المدني (ثقافياً وإقتصادياً وسياسياً):

إن الإسلوب الديمقراطي لا يتمثل في الإنتخابات، بل في التعبير عن المُشاركة في المؤسسات من خلال التعبئة الجماهيرية والتحول التدريجي لهذه المؤسسات. ولا يقل أهمية عن الإصلاحات الإجتماعية والإقتصادية إصلاح أجهزة الدولة (أنظر إلى مِثال تجربة جمهورية تشيلي) بالمعنى الديمقراطي للتمثيل والمُشاركة والسيطرة.

وفي الوقت نفسه، أعلنت الشيوعية الأوروبية التخلي عن دكتاتورية البروليتاريا، التي لم تعُد تثعتبر 'مرحلة ضرورية' – أو 'مرحلة مؤقتة وإنتقالية' باللغة الماركسية – لتأمين ظهور المجتمع الإشتراكي. ومع ذلك، فإن الأحزاب الشيوعية الأوروبية لم تتخلى عن مُصطلح "دكتاتورية البروليتاريا" دَفعةٌ واحدة، بل كلٌ حسب عصرهِ وأساليبه. لقد حاولوا أن يجعلوا هذا التنازل لهُ أقل قدر مُمكن من التأثير العاطفي على النزعة النِضالية، حتى لا 'يَصدِموا' أو يُضللوا ناخبيهم. ولكن التخلي عن دكتاتورية البروليتاريا كان مؤلماً وتدريجياً؛ وحدث دون نقاشات عميقة وعريضة داخل الأحزاب، وقد حدث هذا التخلي دون نِقاش واسع وعميق داخل الأحزاب، واقتصر على 'مَعضِلة بلاغية': دكتاتورية البروليتاريا أو الطريق الديمقراطي.

وأخيراً، ومن بين مِيزات ومُقترحات المشروع الجديد التي تستحق تسليط الضوء عليها، أعتبرت الأحزاب الشيوعية الأوروبية أن التحول الإشتراكي لا يمكن تحقيقه إلا من خلال حركة جماهيرية قوية تحشد الطبقة العاملة. وهذا التحول يَتَطلّب وجود مؤسسات ديمقراطية تُمثّل السيادة الشعبية بشكل كامل، وضمان وتوسيع سُلطتها، والمُمارسة الحُرة لحق الأقتراع العام المُباشر والإنتخابي، الحُر والسُري.

إن إنشاء التحالُفات بقوى ديمقراطية شعبية، مُتحدة حول برنامج كان هدفهُ الرئيس 'تحولٌ إجتماعي إقتصادي'، أخذ أسماء مُختلفة وفق البلد المُعيّن: التسوية التاريخية، التنسيق الديمقراطي، أو إتحاد اليسار. وكان الهدف هو خلق وحدة ديمقراطية قوية بما يكفي لتحدي القوى المُحافظة الرجعية وإفساح الطريق أمام قيام الإصلاحات الإشتراكية في المجتمع:

في ظِل هذه الشروط، يَمرُ الدفاع عن الديمقراطية، والسيرُ نحو الإشتراكية من خلال تحالُف الشيوعيين والإشتراكيين والديمقراطيين والمسيحيين والقوى التقدمية الأخرى ... وهذه السياسة الطبقية الحقيقة الوحيدة التي يمكن لأوروبا إتباعها في هذا الحِقبة الزمنية. إن إعادة وتكرار المُمارسات الطائفية التي عفى عليها الزمن، لن يؤدي هذا إلا إلى عِزل الطليعة الإشتراكية، وتقسيم قوى التقدم، وإعداد هزيمة جديدة للحركة العُمالية.

ومن المُفارقات أن كِتاب "الشيوعية الأوروبية والدولة"، الذي كتبهُ في عام 1977 سانتياغو كاريلو Santiago Carrillo السكرتير العام السابق للحزب الشيوعي الأسباني، والذي مثلَ 'قِمة' النجاح السياسي للسياسة الشيوعية الأوروبية الجديدة – ليس بسبب مُحتواه فَحَسب، بل بسبب الجدل الذي أثارهُ في المقام الأول – كان بمثابة نذير بحدود المشروع. بعد نشر هذا الكتاب، تراجعت الشيوعية الأوروبية تدريجياً، حيثُ تلاشت الحركة واستراتيجيتها في غياهب النِسيان: فقد بلغت ذروتها السياسية، ومن هُنا بدأ إنهيارها. وفي حين كانت ذروتها من عام 1975 إلى عام 1980، لم يتحدث أحد عن الشيوعية الأوروبية بأي أمل بحلول عام 1983. وكان الإستشهاد بِها في المقام الأول لوصف أحداث العقد الماضي: فلم يتبقى سوى آثار قليلة لشعبيتها، أو "الروعة" التي حققتها في قمة مدريد في مارس/آذار 1977. وكان الحزب الشيوعي الإيطالي حِزباً مُحاصراً سياسياً، وكان الحزب الشيوعي الأسباني مُفلساً بعد هزيمته الإنتخابية، الأمر الذي تسبب في جدلٌ كبير داخل الحزب (الذي بلغ ذروتهِ بإستقالة سانتياغو كاريلو). ولم يتذكر أحد الحزب الشيوعي الأوروبي الفرنسي.

من الذي حرّك قطعة الجبن مرة أخرى؟

تجـــربـــــة شخصيـــــة

يتحدث الكتاب الشهير «من الذي حرك قطعة الجبن الخاصة بي؟»، لمؤلفه سبنسر جونسون، عن التغيير الذي يحصل حين نفكر بطريقة مغايرة للمألوف. هذا الكتاب، الذي يقع ضمن كتب التنمية والتحفيز، أخذ صيتاً واسعاً في وقته، ولا يزال يستحضر كلما مرت أنماط التفكير المختلفة التي تنتهج طرقاً مغايرة، حتى لو كانت الظروف هي نفسها. استحضرتني فكرة هذا الكتاب حين دعا المدرب في إحدى الدورات التدريبية إلى ابتكار تركيبات جديدة من أشكال: مثلث/ دائرة/ وخط مستقيم. وبما أن العمل كان جماعياً؛ قام أحد زملاء المجموعة بتكوين شكل شبيه بخيال المآتة، حين رتب الشكل على الترتيب التالي من الأعلى للأسفل: دائرة/ مثلث وبينهما الخط المستقيم. العمل المشترك ممتع؛ لأن هناك دهشة ولطافة واستكشافاً لطريقة تفكير الآخرين، حتى جاء الاعتراض الممتعض: هذا تشبه بالصليب. لا يجوز!

د. زهراء المنصور

هذه الجملة كانت كفيلة أن يمحو صاحب الشكل مقترحه بلا نقاش حتى! لم يدافع عن أن الشكل مجرد أصلاً، ولا يعني أي شي بالتأكيد. لم يتشبَّث لثانية بفكرته! هل كان مقتنعاً، أم قلقاً من فكرة القرب من أفكار غير المسلمين – أياً كان الطرف الآخر– أو اعتقاد الآخرين بأن لا مشكلة لديه مع أي مختلف، وهذا يجعله محل تعجب وشك؟ وهل الدين، أو عقيدة الفرد، يحتاجان إلى طمس الآخرين من أجل الدفاع عنهما؟ وكنت أتساءل إزاء هذا الموقف الذي –قد– يبدو معتاداً: ما نوع القلق من وجود رمز ديانة أخرى، إذا كان القلب عامراً بالإيمان حقاً؟ ما الضير من الانفتاح على الآخرين في الحدود المتاحة، من باب التقارب على الأقل؟ وما الذي يدفع الزميل الآمر، والمستجيب، إلى الانصياع بشكل يطمئنان فيه ألا تجاوز في المسألة؟ مَن المستفيد من مسألة التشويش بين أي مختلفين؟ وعلى اتصال بالفكرة؛ هل مسألة وجود الآراء الحادة المتطرفة واللافتة على نحو عجيب، في تعليقات منشورات التواصل الاجتماعي، صدفة، أم تأثر، أم لجان إلكترونية تعبث من أجل توجيه الرأي وتكوين وجهة نظر جمعية مصدرها تحريض غير مباشر؟ والأكثر من هذا؛ كيف نجرؤ على مهاجمة أي شيء لا نعرف منه إلا فكرة سطحية، أو عنواناً، وبناء على آراء مسبقة تقودنا؟

على نحو أراه متصلاً بشدة؛ ناقشتُ قبل شهر وأيام، أطروحة الدكتوراة التي أخذت مني سنوات بحث جادة، بين الفكرة والتنفيذ، حين تكشفت الفكرة أمامي في سنوات الوعي الأولى في السكن الجامعي بمنطقة الشامية بدولة الكويت. هناك تشاركنا الغرف والحياة مع زميلات خليجيات جمعتنا الدراسة، بعيداً عن الأهل. وفي أحد الأحاديث الطويلة بعد اليوم الجامعي، حدثتني زميلة عن "نقاء" دم قبيلتها الذي لم يتزاوج مع السود! أخذت بعض الوقت لفهم الفكرة، وحين استوعبت التعالي غير المبرر على الإطلاق، باغتّها بسؤال: كيف هذا، وزميلتنا الأخرى تحمل نفس اسم القبيلة، ولون بشرتها مختلف؟ فأجابتني بما جعلني أتيقن أن المسألة طبقية، بفجاجة غير محتملة. لاحقاً، توالت أمامي الصور المتفرقة التي ترسخ مفاهيم بغيضة؛ أعمقها سطحي، وخلاصتها هي أنك حين لا تشبهني، فأنت مختلف عني، وغالباً أقل مني. لمَ على الإنسان أن يتحمّل انخفاض التقدير عندَ الآخرين، لمجرد اختلافه القدري؟

وعندما صدر كتاب الباحث البحريني د.نادر كاظم في العام 2004 "تمثيلات الآخر: صورة السود في المتخيل العربي الوسيط»، الذي أحدث ضجة تليق بالمنجز، يفكك فيه الكتاب التمثيل السلبي لصورة الأسود، وكأنَّه المفتتح الذي ينتظره كثر! إذ توالت بعدها روايات وكتب معنية بالسود بشكل صريح ومباشر في منطقة الخليج، منها على سبيل المثال لا الحصر: رواية سعداء الدعاس "لأني أسود"، ومنيرة سوار "جارية"، وبحوث قيمة في السنوات الأخيرة مثل «تاريخ العبيد في الخليج العربي» للباحث د.هشام العوضي، ومؤخراً د.نورة محمد فرج في بحثها عن "العنصرية في الخليج: إشكالية السواد"، وغيرها من الكتب والروايات المكاشفة التي تؤيد على اقتحام المناطق المغلقة. قبلها، كنت قد قررت فكرة المشروع، وأنتظر بلورته عبر مزيد من الاطلاع الذي يمنحني دراية وفهماً أكبر للمسألة، خصوصاً في مجالي المتخصص والأثير بفن المسرح.

في بحثي المعنون بـ"حضور السود في المسرح الخليجي: الآخر من منظور الدراسات الثقافية"، كان السؤال المتكرر منذ كان المشروع فكرة، علامات استفهام كثيرة يوجد في بعضها اتهام

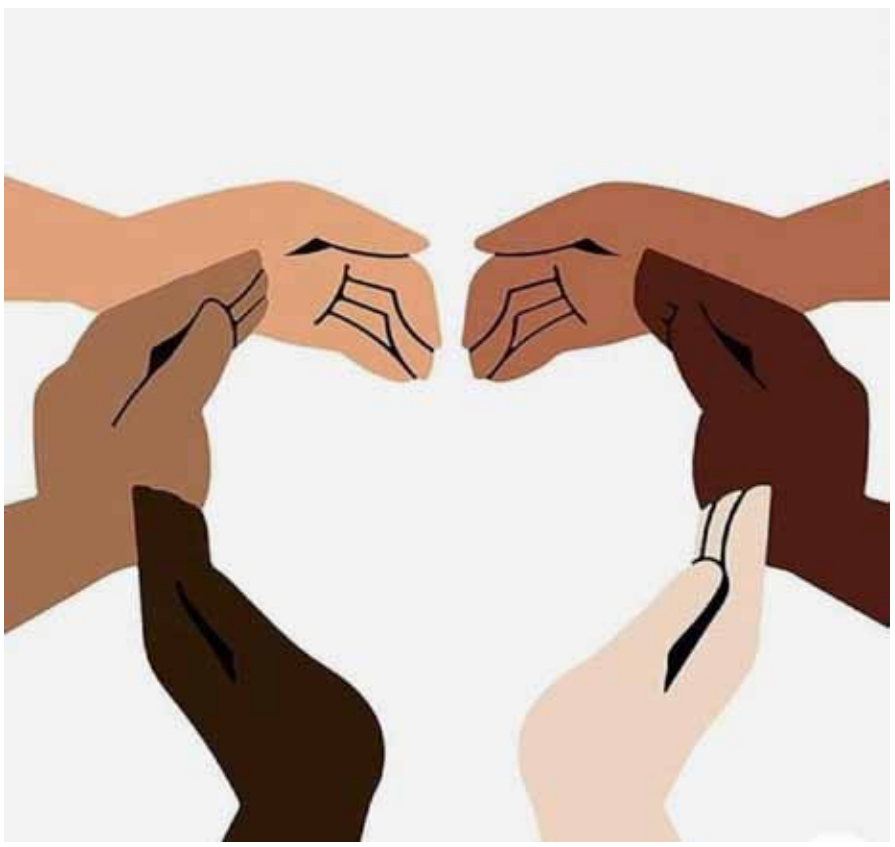

مستعجل بالعنصرية، وهذا أبعد ما يكون عن الدراسة تماماً. ولأنه موضوع حساس، نتيجة ارتباط اللون الأسود بتاريخ من العبودية وتبعاتها المؤلمة، كان لا بد من التعرّض لهذا المكون المهم في النسيج الخليجي وتناوله بشكل رئيسي، وبخاصة إذا وضعنا في الاعتبار أن هذه الفئة الاجتماعية غير موجودة في كتب السير والتاريخ والدراسات البحثية إلا بشكل هامشي. إذاً: فمنطلق هذه الدراسة هو الالتفات إلى التعددية والاختلاف اللذين ميزنا بهما الله، وجعلنا سلالات، وألواناً، وأدياناً، ومذاهب، وطبقات اجتماعية، ونقائض أفكار، وعوضاً أن يكون هذا الاختلاف سبيلاً إضافيّاً للتكامل والتعايش المجتمعي، صار التصنيفُ العنصري والطبقي، والعرقي، والطائفي هو المألوف.

لذا، فهذه الدراسة تخوض في المنطقة غير المحظورة، كما قد يوحي عنوانها؛ لكن تعاطي المجتمع الخاطئ هو ما جعلها كذلك، ولو تم التعامل معها بحياد وموضوعية لأمكن أن تكون مقبولة ومفهومة لمن يعنيهم الأمر. وعليه، فهي تهدف بشكل غير معلن إلى مقاومة نعرة التعصب لمحددات الهوية.

وعودة للسؤال: لماذا أسود؟ تمثل فئة السود مكوناً أساسياً في المجتمع الخليجي الذي يحتوي، مثل أي مجتمع ساحلي، على خليط من الأجناس والأعراق. وهناك مصادر تقول إنه في فترة ما، وصلت نسبة السود إلى 17٪ من سكان الخليج. فإن صحت هذه النسبة، كيف يمكن إغفال مكون مهم من مكونات المجتمع الخليجي، ودوره في بنائه وتكوينه؟ وأعي تماماً السهام التي تطلق على شكل انتقادات، بسبب محاولات المجتمع إنكار فكرة الفوارق الطبقية، رغم تأكيد الشواهد على وجودها، وهذا ما تكشفه العينات القصدية داخل البحث، لدرجة استخدام لفظة الأسمر بدلاً عن الأسود؛ إشارة، بل ودليلاً على الوعي بعنصرية الكلمة بكل مدلولاتها السلبية المتعلقة بتاريخ اللون، لذلك يتم الاستبدال؛ حرصاً على عدم إثارة حفيظة الآخر الذي يرى في اللون ما يشينه أو يعاب عليه. وارتباط اللون بالعبودية في الخليج هو ارتباط غير شرطي، ومحض مفهوم جمعي لفئة، ذلك أن عدة شواهد بعضها مكتوب وأغلبها شفاهي، توضح أنه ليس كل السود عبيداً، وأن العبيد يمكن أن يكونوا من البيض، حسب مكان استقدامهم.

لماذا الأسود على وجه التحديد؟ الأسود يختزل كل الآخرين المختلفين عن المركز. كل الفئات الأخرى يمكنها تغيير أي اختلاف، إلا الأسود؛ يولد بلون بشرته ويموت بها، وما بينهما يتحمل عبء اللون في المجتمع الذي يصنفه مسبقاً.

أما عن اختيار موضوع السود، فمردُّه إلى أنه لم يأخذ حقه أبداً من البحث كما ذكرت، وذلك بسبب حساسيته، وكأنّه مزيد من التهميش لهذه الفئة. لذا فقد اعتبرت هذا البحث استكمالاً لما بدأته في مشروع الماجستير حول "صورة المرأة في السينما البحرينية"، واتخذت من فيلم (حكاية بحرينية) نموذجاً للتحليل. فاعتباراتي -كباحثة- لإنصاف وتسليط الضوء على فئة مهمة ومهمشة موجودة ضمن المكون الرئيس في مجتمعات الخليج، هي دافع مهم للكتابة عنها، وإبراز دورها الفعلي، وهو أيضاً تحريك قطع الجبن الوهمية التي يظن أصحابها أنها موجودات مسلَّم بها، متمثلة في الرموز التي أشار إليها مؤلفها جونسون، وجاور بين فكرتي التمسك والخسارة، أو التجاوز والفوز؛ أن تكون قزماً تستخدم المعتقدات الموروثة للوصول للجبن، أو فأراً تعتمد الشم والتفكير المجتهد للخروج بأفكار غير مألوفة، والفرق بين هذا وذاك يأتي عبر التفكير وإعمال السؤال: لمَ لا؟ أو ماذا لو؟ ولأن الجميع يرزق العقَل الذي ينمو مع مصادر المعرفة، ويقوده لمعرفة أوسع، لكن جزءاً من البشر يفضل أن يكون حبيس منطقة الأمان المحاطة بأسوار المجتمع، وقشور الدين، التي تبقيه مطمئناً، بعيداً عن أي اجتهاد يشعر معه بالمجازفة أو بالذنب، حتى وإن لم تكن حياته على هواه؛ عدا أنه سيفتقد ما أشار إليه "هاو" في كتاب الجبن، حين أدرك متعة أن يفكر خارج الأطر الوهمية: "عندما تتجاوز مخاوفك، ستشعر بالحرية"، حتى وإن كان نصيبه من الجبنة قطعاً صغيرة غير التي اعتاد عليها من قبل، عدا أنه أدرك أن قطع الجبن التي كانت متوفرة بكثرة وتضاءلت بسبب الاستهلاك -مثل الأفكار التي نعتبرها ثوابت- ليست لذيذة، وتؤكل رغم تعفنها.

وعلامة لدين سماوي، مثل الصليب المذكور، أو حتى صنم بوذي، يثير القلاقل التي تؤجج الخوف الإنساني غير المحمود، مثلها مثل الجبنة التي يسعى لها شخوص جونسون: الفأران، والقزمان؛ وفئة مثل السود تحجَّم وتصنَّف حسب مجتمعها كما فئات أخرى، كلها علامات كشف سوءات البشر، وعجزهم أو تخاذلهم عن مواجهة مخاوفهم، سواء كانوا في موقف القوة أو الضعف. هذا التهاون والعجز لخَّصه القزم «هاو» حين كتب رسالة على الحائط لصديقه "هيم" ليحفزه على إعادة الجدولة والتفكير: إن لم تتغير، فمن الممكن أن تفنى!

هل مانحو الجوائز ملائكة؟!

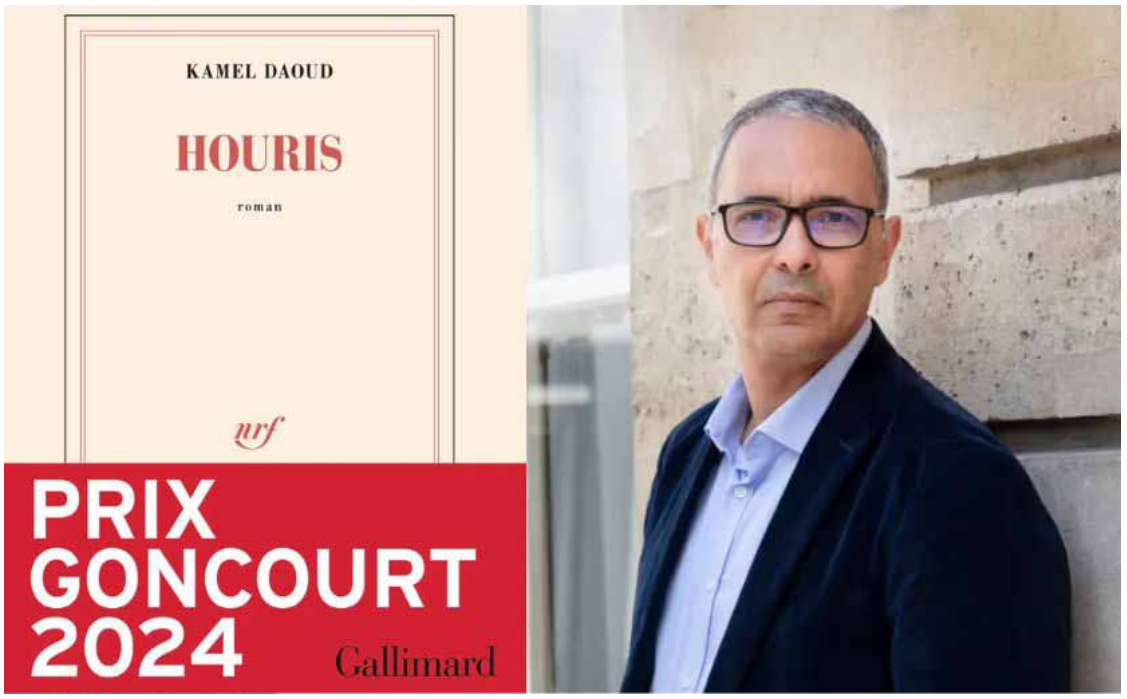

**الفائز بنوبـل
أو أية جـائزة أخـرى
ليس بالضـرورة
أفضـل مـن غيـره**

أسال فوز الروائي الجزائري الفرنسي (باعتباره يحمل الجنسية الفرنسية) كمال داود بجائزة الغونكور أرفع الجوائز الأدبية الفرنسية وأشهرها، كثيرا من الحبر بين مهاجم له محاكم لأفكاره وبين مدافع عنه يعتبر روايته الفائزة «الحوريات» جديرة بهذا التتويج.
ومقالي ليس عن رأيي في هذا الفوز، فالحوريات لم تترجم إلى العربية بعد، ولم أقرأ له سوى روايته «ميرسو التحقيق المضاد» التي بناها على رواية الغريب لكامي، وقد صدرت في ترجمة لم ترق لي كثيرا بعنوان «معارضة الغريب». وإن كنت أعتقد يقينا أن فوز كمال داود بالغونكور ليس مبنيا على جماليات روايته فقط،بل لمواقفه السياسية وتماهيه مع خط الجائزة، وليس هذا اتهاما بقدر ما هو عرض لواقع حال تكاد تعرفه كل الجوائز الأدبية بدون استثناء.

د.بروين حبيب

وقد كتبت قبل أشهر في هذه الجريدة مقالا بعنوان «جوائز الرواية العربية .. تأمّلات في المعايير» ذكرت فيه موضوع تحيز الجائزة لسياسة أصحابها ف "ليست خطيئة أن تخضع الجائزة لمعايير المانح، بشرط أن لا يمسّ ذلك بصميم العملية الإبداعية. فلكل مانح (فردا كان أو هيئة أو دولة) اعتباراته وخصوصياته. وإن كانت الجهات المانحة للجائزة لا تذكر ذلك مباشرة بل مواربة". لذلك يصبح الجدل المعتاد عند كل موعد استحقاقي للجوائز ضربا من الديكور المصاحب للجائزة يضاعف الاهتمام بها ولا يغير من واقع الحال شيئا.
ويردُ على أذهاننا سؤال جوهري: متى حصل إجماع على منح جائزة ما حتى وإن كان الحائز عليها يستحقها بجدارة؟ لأننا نجد دائما صوتاً وإن كان نشازاً يعترض ويسوق الحجج على خطأ الاختيار، ونذكر للمناسبة هنا اعتراض الأديب المصري يوسف إدريس على منح زميله نجيب محفوظ جائزة نوبل، ولم يخف إدريس ذلك بل صرح به لجريدة "الوفد" بعد أيام قليلة من الإعلان، وقال بأن محفوظ حصل على نوبل بفضل مهادنته لليهود وعدم انتقادهم. وكان اعتراضه فاقعا إلى حد أن رجاء النقاش كتب مقالا شهيرا عنوانه "الرافض الوحيد". وإذا كانت مسألة استحقاق نجيب محفوظ لنوبل محسومة ويكاد ينعقد الإجماع عليها، فقد رافق هذا التشكيك بالانحياز جائزة نوبل منذ أول سنة منحت فيها، ففي الوقت الذي توقّع أغلب النقاد والأدباء أن يفوز بها في دورتها الأولى سنة 1901 كاتب روسيا العظيم تولستوي ذهبت إلى شاعر فرنسي يدعى "رينيه سولي برودوم"، لا أعتقد أن أغلب المثقفين والقراء يسمعون باسمه اليوم، إلى درجة أن مجموعة من أدباء السويد اعترضوا على هذه المفارقة وكتبوا رسالة اعتذار لصاحب "الحرب والسلام" و"أنا كارينينا" . وحدث الأمر أيضا سنة 1953 حين فاز رئيس وزراء بريطانيا ونستون تشرشل الخارج منتصرا من الحرب العالمية الثانية بهذه الجائزة المرموقة، ولكن فاز بها في فرع في الأدب وليس في فرع السلام مثلاً، في الوقت الذي ترشح معه في السنة نفسها الكاتب الفرنسي أندريه مالرو والبريطاني غراهام غرين وهما من هما

يبقى واقعاً أن كل جائزة متهمة حتى تثبت براءتها وهيهات أن تسلم

في ميدان الكتابة. وتكرر الأمر كثيرا، فلو سألنا أي متابع ولو كان متخصصاً عن أسماء بيورنسون وسينكيفيتش وفون هايدنستام وجميعهم فازوا بجائزة نوبل، ثم سألناه عن بورخيس ومارسيل بروست ومارك توين وكلهم لم يحظَ بشرف نيل هذه الجائزة الكبيرة، نسأله لمن قرأ من المجموعتين بل بأسماء من سمع من بينهم فلا أظننا نحتاج لسماع إجابته. وهذا يؤكد لنا ما نعرفه ولكننا نغفل عنه من أن الفائز بنوبل أو أية جائزة أخرى ليس بالضرورة أفضل من غيره أو يستحقها أكثر، وقد كتب عباس محمود العقاد في سنة وفاته قبل ستين سنة كتاباً عن جائزة نوبل بعنوان "جوائز الأدب العالمية" ذكر فيه أن هذه الجائزة "ليست شهادة محققة برجحان من ينالها على من تتخطاه، وإنَّ كثيرين ممن لم ينالوها أرجح قدرًا، وأثبت فضلًا، وأشيع ذكرًا من الفائزين بها". والتفكير المنطقي المعزز بالشواهد يقول إن الموضوعية في منح الجوائز الأدبية مثلها مثل الديمقراطية والعدالة الاجتماعية وحقوق الإنسان مفاهيم مثالية ولكنها بعيدة التطبيق إن لم تكن مستحيلة. لذلك صدرت كتب في فضح هذا التحيز في منح الجوائز بل فبركة النتائج أحياناً، حيث صدرت للروائي المغربي محمد سعيد احجيوج قبل سنوات رواية بعنوان "أحجية إدمون عمران المالح" تدور حول الترتيبات والاتفاقات التي تكتنف الفوز بجائزة ما، كما كتبتُ مرة في مقالي عن برنارد بيفو وقد رأس الغونكور نفسها خمس سنوات كاملة بعد أن كان عضوا في لجنة تحكيمها عشر سنوات، إذ حظر هذا الناشط الثقافي العاشق للكتب على أعضاء لجنة التحكيم العمل في دور النشر ولو بصفة استشارية لتضارب المصالح. وشبهة تدخل دار نشر غاليمار – وبالمناسبة هي الدار نفسها التي صدرت عنها رواية الحوريات – بطريقة غير مباشرة في فرض فوز رواياتها المقدَّمة أثيرت أكثر من مرة في الإعلام. ويكفي أن نكتب كلمتي فضيحة وجائزة أدبية في محرك البحث بالإنجليزية حتى نعثر على عشرات المقالات التي تتناول الموضوع ومنشورة من مجلات مرموقة مثل الغارديان والنيويورك تايمز.

وأسباب التحيز في منح الجوائز متعددة بتعدد الغايات من إنجاح كاتب على حساب كاتب آخر. فهناك التحيّز المكاني القائم على الجغرافيا، وخاصة في الجوائز المفتوحة لمشاركات أشخاص من بلدان متعددة، ونعود دائما لنوبل باعتبارها أهم جائزة أدبية في العالم ونحصي كم من كاتب نالها من خارج الدائرة الغربية الأمريكية، والأمر نفسه ينطبق على اللغة، فالكتب المكتوبة بالإنجليزية لها حصة الأسد، أما المرأة فقد تعرضتُ لهذا التمييز الجندري مرارا وبالأرقام الواقع ضدها في مقالات سابقة.

وما ينطبق على نوبل ينطبق على غيرها من الجوائز بنسبة أقل أو أكثر لكنه لا يلغي ما هو موجود فعلا. بل هناك أنواع من التحيّز الخفي حتى من داخل الجنس الأدبي نفسه، ولطالما تساءلت مثلا بعد أن مضت سبعون سنة على ظهور ديوان الشاعر الفلسطيني توفيق صايغ "ثلاثون قصيدة" وهو أول ديوان في قصيدة النثر وظهرت تجارب مهمة من الماغوط إلى أنسي الحاج وقاسم حداد وتجارب الشباب على امتداد الوطن العربي بل وتحول إلى كتابتها شعراء التفعيلة الكبار مثل سعدي يوسف وأدونيس، لماذا لا تزال تستبعد من الأغلبية الساحقة من الجوائز المخصصة للشعر، فيقصرون التنافس على الشعر العمودي وشعر التفعيلة. وهو تحيز أجناسي لا شك فيه. ويبقى هناك تحيز آخر من النوع الخفي أيضا وهو تحيز الحكام المكرسين لما ألفوه، فغالبية حكام الجوائز يُختارون لتجربتهم أي لتمرسهم في أسلوب كتابي يصعب عليهم استحسان غيره، فمن الصعب أن يجيز شاعر كلاسيكي قصيدة حداثية أو روائي من القرون الوسطى رواية تجريبية.

كل هذه التحيزات تلقي بظلالها على مصداقية الجوائز ويبقى واقعا وللأسف أن كل جائزة متهمة حتى تثبت براءتها وهيهات أن تَسلَم.

هذه الشوائب في الجوائز الأدبية جعلت بعض المشاكسين يطرحون جائزة أدبية لرفض الجوائز الأدبية، وأطلقوا عليها اسم "جائزة جان بول سارتر لرفض الجوائز" مقتدين بسارتر نفسه الذي رفض جائزة نوبل سنة 1964 لأنه كان يرفض أن يحول الكاتب نفسه إلى مؤسسة. وهذه الجائزة الغريبة الطريفة تمنح معنويا لمن يرفض جائزة لأسباب يراها وجيهة كإدانة الجهة المانحة لأنها من نظام شمولي أو تعبر عن ممارسات غير ديمقراطية، وبغض النظر عن جدية أو تأثير هذه الحركة إلا أنها يد أخرى ترفع لتصويب معايير الجوائز وإبعادها عن كل مؤثر خارجي سوى الأدب نفسه، وهذا ما يعيدنا إلى النقطة التي انطلقتُ منها، هل الاحتجاج على منح كمال داود الغونكور بسبب مواقفه السياسية سواء في بلده الجزائر أو ما يجري في فلسطين، أو لأن قيمة الرواية الأدبية لا تؤهلها لذلك. والجواب على هذا السؤال وحده هو من يثبت وجاهة اعتراض الرافضين أو تحيزهم هم أيضا بدواع إيديولوجية. وإلى جائزة جديدة وجدل آخر لا ينتهي نرجئ البحث الحقيقي في آليات منح الجوائز ومعاييرها.

وقفة

مجد يعقوب

التوثيق الأبقى

تتعرض قضيتنا إلى عدة محاولات للطمس والمحو، وتغييب الوقائع والحقائق، بل الالتفاف عن أصل الحكاية وتحويرها لصالح من لا حقّ له فيها، وإذا حاول أي امرئ يملك من الإنسانية الحد الأدنى أن يطلع على جذر القضية وأبعادها، لن يجد عبر محركات البحث ما يشفي حاجته، وكثير من الكتب التوثيقية يجدها المرء، هي الاخرى، ناقصة. وهنا تبرز أهمية الأدب الملتزم الجاد لما له من أثر على الحياة الاجتماعية والسياسية وكنصل حاد للدفاع عن حق الانتماء.

لقد وثّق الروائيون الفلسطينيون الملتزمون (غسان كنفاني، جبرا إبراهيم جبرا، سحر خليفة، حسين البرغوثي) أصدق الصور التي من خلالها يستطيع القارئ أن يدرك مدى قبح الاحتلال وممارساته الأسوء في تاريخ البشرية: المجازر، السطو، انتزاع الأراضي من أصحابها، التهجير القسري، التعذيب والاعتقال.

إن من يقرأ لهؤلاء الروائيين لن يستغرب ما يفعله الاحتلال اليوم، لقد وثّقها أولئك وكأنها حاضرة اليوم. في ثلاثية الروائي إبراهيم نصر الله والتي عنونها بالملهاة الفلسطينية: (ظلال المفاتيح، سيرة عين، دبابة تحت شجرة الميلاد)، سنقرأ العديد من صور العذابات التي يعيشها شعبنا داخل الوطن المحتل، وكأننا في قلبها، ونشهد محاولات الاحتلال البائسة في طمس الهوية وتفكيك الشعب وتقسيم الأرض.

إن الأدب وحده القادر على توثيق كل هذه الآلام وحفظها للأجيال القادمة، في حين أن المضخة الاعلامية آنية والصور المتناقلة فيما بينها مجيرة وفق أجندتها.

حدث ذات يوم في بيروت

محمود درويش وحصار بيروت ١٩٨٢

المكان: بيروت. الزمن: مطلع أغسطس ١٩٨٢.. من على سطح فندق الكسندر في بيروت الشرقية، كان الجنرال شارون يراقب بالمنظار موقع الهجوم الذي ستشنّه قواته قريباً على بيروت الغربية. كل شئ تمّ الإعداد له بشكل جيد – حسب اعتقاده –، حيث تم توزيع الأدوار بين القصف البحري والجوي والبري تمهيداً لدخول القوات البرية عبر منطقة المتحف، من أجل ضمان التعتيم التام على جريمتهم لحظة اقتحام بيروت، أصدر الجيش الإسرائيلي تعليماته: ممنوع منعاً باتاً اصدار الصحف اليومية.

محمد ديتو

صحيفة واحدة رفضت الانصياع لتلك التعليمات: «السفير». مع ساعات الصباح الأولى من يوم الخميس 5 أغسطس كانت الأيادي تتناوب تصفح عدد الجريدة الصادر تحت عنوان: «بيروت تحترق ولا ترفع الأعلام البيضاء...». نشاهد في الصفحة الأولى رسم ناجي العلي الشهير («حنظلة» يهدي وردة إلى فتاة تطل عليه من الفجوة التي أحدثتها القذيفة بالجدار، ويقول لها "صباح الخير يا بيروت"). نقرأ أيضاً وقائع ما حدث في اليوم المنصرم: «بيروت – 4 آب(أغسطس) 1982، هذا يوم تاريخي جديد في تاريخ العاصمة للبنانية .....مئات البنايات دُمرّت، آلاف المنازل السكنية اشتعلت بالقنابل الفوسفورية أو الانشطارية، 500 ألف مدني أمضوا يوماً وليلتين في الملاجئ المظلمة من دون كهرباء ولا ماء، أكثر من 300 قتيل وجريح...إلا أن بيروت، رغم ذلك كله، لم تحن رأسها وصمدت في وجه قوات الغزو الإسرائيلية كما لم تصمد مدينة في التاريخ بعد ستالينغراد وهانوي.» كشفت «السفير» فشل المحاولات الإسرائيلية لاقتحام بيروت الغربية، وإجبارها على التراجع في ما عرف لاحقاً بمعركة المتحف الشهيرة. كما حددت الصحيفة أبرز المواقع التي طالها القصف الذي "بدأ يتسع في الثالثة فجراً ليشمل المخيمات الفلسطينية وأحياء الطريق الجديدة والمزرعة وبربور ورأس النبع وصولاً إلى فردان والحمراء وعين المريسة".

في عين المريسة، و في شقة تقع بالطابق الثامن من إحدى العمارات ذات الواجهة الزجاجية المطلة على البحر، صحا محمود درويش مذعوراً من نومه: «الساعة الثالثة....كابوس يأتي من البحر.

الضغوط العسكرية الاسرائيلية على بيروت ومعاولات فك الارتباط بين المقاومة والمسلمين [ص ٣]

السفير

يومية سياسية عربية

صاحبها ورئيس تحريرها طلال سلمان

٤ صفحات ٢٠٠ قرش

بيروت تحترق... ولا ترفع الأعلام البيضاء

قوات الغزو تدمّر مئات البنايات وآلاف المنازل و٩ مستشفيات وتسقط ٣٠٠ قتيل وجريح

صدّ محاولات اقتحام على ٦ محاور والغزاة يتراجعون إلى قصر العدل رغم تقدمهم في الأوزاعي

دخان.. حديد يعوي فينبح له حديد آخر"، حسب وصفه لقصف البوارج الحربية الإسرائيلية. « استمرّ القصف حتى السادسة فجراً حين تدخل الطيران في أطول غارة (12 ساعة متواصلة) ...كل ما تمخض عنه الخيال البشري من إبداعات الشر الخارقة، وما بلغته التكنولوجيا من تقدّم، يجري امتحان فاعليتها في أجسادنا اليوم. أيكون هذا اليوم أطول يوم في التاريخ؟".

في السابعة صباحاً خرج إلى الشارع ليشهد آثار الدمار: «أمشي على مهل...أسير بلا هدف كأنني أتعرف على هذه الشوارع للمرة الأولى، وكأنني أسير عليها للمرة الأخيرة...» شاهد المقاتلين خلف المتاري : "وقفت هناك، على الطرف الثاني من الشارع...يوم كور اللحم البشري عضلة الروح وصاح: لن يمروا !". غمره شعور بالحب اللامحدود تجاههم "لتنبت أسمائكم حبقاً وريحاناً على سهل يمتد من خطاكم....أيها المشرقون فينا أقماراً ....وحدكم ! تحمون سلامة هذا الساحل من اختلاط المعاني».

لمحت عيناه فدائياً يبتسم لأحد رفاقه. كان شاباً وسيماً، ذكره بابن عمه سمير درويش الذي استشهد قبل بضعة أيام: «لأنني أعرف «سمير» منذ الطفولة، لم أذهب إلى غيبوبته في المستشفى. لقد بترت ساقيه وذراعيه، بقرت بطنه وسملت عينيه،عندما كان يخلي المصابين في ميدان المدينة الرياضية. ماذا تبقى منه؟." استحضر درويش حكاية سمير وكيف أصبح فدائياً وألقي القبض عليه وحوكم في إسرائيل بثلاث أحكام مؤبدة، ليطلق سراحه لاحقاً في صفقة تبادل أسرى. وتذكّر لقائهما معا: «قال لي سمير حين إلتقيته بعد عشرين عاما في دمشق: أهذا هو الوضع؟ ليس من أجل هذا دخلت (يقصد السجن)، وليس من أجل هذا خرجت (يقصد الخروج من اسرائيل). كان شديد الخيبة من المؤسسة (يقصد منظمة التحرير الفلسطينية) وشديد الإلتحام بها.» محمود درويش يقارب هنا جانباً حساساً من المعضلة الوجدانية التي عاشها العديد من المناضلين آنذاك (والآن)، الذين وإن خابت توقعاتهم من التنظيمات التي عملوا في ظلها، إلا أنهم واصلوا نضالهم والتزامهم السياسي معها.

في الحادية عشر ظهراً سيشهد قصفاً وحشيّاً، أعطاه الوصف التالي: «الساعة الحادية عشرة، وعشرين ألف قذيفة، وثلاثين ثانية." درويش

يدمج توقيت القصف، بعدد القذائف، بالمدة التي استغرقها القصف. وصف يربك القارئ بجمالية اللغة وهي تكثف وحشية القصف.
يمشى في الشوارع، متجهاً ناحية الروشة، حيث تقع مكاتب الجريدة. تلتقط إذناه صوتاً غريباً: «صوت يشذّ عن الأصوات المألوفة.. مختلف وبعيد. صوت يسرق المكان ويهرول". انفجار سيارة مفخخة قرب بناية. يشاهد رجال الإسعاف المدني، وهم "يحاولون انقاذ اللحم البشري المعجون بالحديد والأسمنت والزجاج" . يتجمد في مكانه "لا أستطيع أن أنصرف ولا أستطيع أن أخمد إحساس العجز". انهارت البناية التي كانت تأوي مكتبه.
خرج من الشارع باتجاه صخرة الروشة الشهيرة. وقف مهموماً وهو يحدق بعيداً باتجاه موجة بحر: «موجة من بحر، كنت أتابعها من هذه الشرفة، وهي تنكسر على صخرة الروشة الشهيرة بانتحار العشاق.... موجة من بحر تحمل بعض الرسائل الأخيرة، وتعود إلى الشمال الغربي الأزرق، والجنوب الغربي اللازوردي، ترجع إلى شواطئها وقد طرزت انكساراتها بالقطن الأبيض. موجة من بحر أعرفها، ألاحقها بالشجن، وأراها وهي تتعب قبل بلوغ حيفا، أو الأندلس. تتعب فترتاح على شواطئ جزيرة قبرص. موجة من بحر، لن تكون أنا، وأنا، لن أكون موجة من بحر."
قطع حبل تأملاته صوت غريب "صوت لا نعرفه من قبل. خفيض، بعيد، عميق، سري، كأنه صاعد من جوف الأرض، كأنه صوت القيامة المهيب.! «.. كان صوت انفجار القنبلة الفراغية التي تمّ استخدامها لأول مرة آنذاك، وخلفت أكثر من 350 شهيد في منطقة "حديقة الصنايع" ببيروت. كتب درويش عن تلك القنبلة: " تحفر تحت الهدف فراغاً هائلاً يجرد الهدف من قاعدة يجلس عليها، فيمتصه الفراغ ويحوّله إلى مقبرة مدفونة، بلا تعديل ولا تغيير. وهناك، تحت، في الحيز الجديد، يواصل الشكل الاحتفاظ بشكله. ويواصل سكان البناية الاحتفاظ بهيئاتهم السابقة، وبآخر أشكال حركتهم المختنقة. هناك، تحت، تحت ما كان تحتهم قبل ثانية، يتحولون إلى منحوتات من لحم، ولكن لا حياة فيه حتى للوداع. فمن كان نائماً يظل نائماً. ومن كان يحمل طبق القهوة يظل حاملاً طبق القهوة." (علم لاحقا بأن تلك القنبلة الفراغية كانت تستهدف القائد ياسر عرفات الذي غادر البناية قبل انفجارها).
يذهب الى فندق "الكافاليه" بعد أن نصحه أصدقائه بمغادرة شقته الغير آمنة. يجلس

مرهقاً في ركن قصي لوحده. تقاذفته أفكار وخواطر غير مترابطة، انهالت عليه بلا ترتيب: فكر بشماتة البعض من حصار المقاومة، وتذكّر موقف جارته المتشنجة والمعادية للفلسطينيين، «كانت في داخلها التربوي المعادي لما هو خارج طائفتها تحتفل بالخدمة المجانية التي يقدمها الإسرائيليون!». ولكنه على الرغم من ذلك لم يكنّ لها العداء "بل بالاحساس بالشفقة على ما قطعته من أشواط الوهم ورفض "الآخر". انتابه الاستياء وهو يستمع الى نشرة الأخبار "أصوات فصيحة تصف الموت كما تصف الأحوال الجوية». فكّر في سلوك الناس خلال الأزمات وكيف يتحول «الصمت، صمت المتفرجين، إلى ملل» ولاحظ بسخرية وألم كيف أن «البطولة أيضا تدعو إلى الضجر عندما يطول المشهد فتخفّ النشوة."
الساعة الخامسة بعد الظهر يلتقي صديقيه فواز طرابلسي والشاعر العراقي سعدي يوسف. درويش يتأمل في مصير النادل الباكستاني الذي يخدمهم في البهو: «ما الذي جاء به إلى هذه المدينة من آسيا البعيدة؟ كان يطارد الرغيف فاصطاده الرغيف في هذا الحصار. استدرجه الرغيف من لاهور ...رغيف الخبز الذي يقتله في حرب لا شأن له فيها.»
ودّع أصدقائه، وخرج إلى الشوارع مرة أخرى. تأمل في مفارقات أيام الحصار، وكيف تسابقت إذاعات القوى اللبنانية المتحاربة آنذاك على إذاعة أغاني فيروز، وخاصة اغنيتها الشهيرة "بحبك يالبنان". لاحظ أن صوت فيروز هو "الأثر الوحيد على وطن مشترك... وطن يرتفع على حنجرة تطلّ علينا من السماء، حنجرة وحيدة توحد ما لا يتوحد، وتؤلف ما لا يتآلف"، لكنه لاحظ بمرارة أيضاً كيف أن "أحبك يالبنان، إعلان لا تصفق له بيروت المشغولة بشوارعها المقصوفة، المكثفة في ثلاثة شوارع". أسرع الخطى وهو يعبر الشارع وعقله مشوش بالحيرة: «لم نفهم لبنان أبداً...ولن نفهم لبنان إلى الأبد.» وتساءل مع نفسه: «ألأن لبنان هو هكذا، يستعصي على الدراسة والإدراك؟...لا أتورط بمحاولة الإجابة، بقدر ما أزج بنفسي في حيرة..ولا أريد جواباً صحيحاً، بقدر ما أريد سؤالاً صحيحاً.»
مع اقتراب الغروب، وصل إلى شقته ليلمّ حاجاته وهو في قعر اليأس والإكتئاب: "لا أحبّ أحداً ولا أكره أحداً ولا أريد أحداً ولا أحسّ بشئ أو أحد. لا ماضٍ لي ولا مستقبل. لا جذور ولا فروع. وحيد كتلك الشجرة المهجورة في العاصمة الكبرى على سهل مفتوح". أسدل الظلام ستارته على بيروت، ودرويش يتأمل في حياته: "دارت بي حياتي دورات حادة. لا أستطيع أن أواصل هذا التقاطع في الزمن..تمشي أيامي أمامي كقطيع من ماعز لا يأتلف. تمشي أيامي ورائي كرائحة الوردة الواقفة عكس الريح. وتمشي أيامي حولي كما أمشي حولها الآن في لعبة الكراسي الموسيقية الصادرة عن آلات معدنية....كفى !".
تمضي ساعات المساء ببطء خانق. في العاشرة مساء، أشعل قنديل الغاز وجلس على طاولة المكتب. أمسك القلم وكتب: "الوجع الجديد يطرد الوجع القديم. والمشكلة الجديدة تزيح المشكلة القديمة... نحن نتاج هذا الواقع وهذا الزمن الذي تختلط فيه الانهيارات الواضحة بالولادات الغامضة، ولا نتوب عن أحلامنا مهما تكرر إنكسارها."
نجا درويش من موتٍ كان يتربص به في كل لحظة من ذلك اليومِ الطويل، وعلى الرغم من أنه كان مصراً على عدم مغادرة بيروت، إلا أن دخول الجيش الإسرائيلي إلى بيروت الغربية وسؤال الجنود عنه لدى جيرانه، وتزامن كل ذلك مع مذبحة صبرا وشاتيلا المروعة، دفعه الى تغيير رأيه، فتمّ تهريبه عبر سيارة السفير الليبي الى دمشق التي وصلها مطلع اكتوبر من ذلك العام.

---

* المقتطفات وصياغة مسار أحداث ذلك اليوم من: «ذاكرة للنسيان»، محمود درويش – الأعمال النثرية– المجلد الأول – الأهلية للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى، ٢٠١٩.

ليلة في المكسيك تجمع الأحياء والموتى

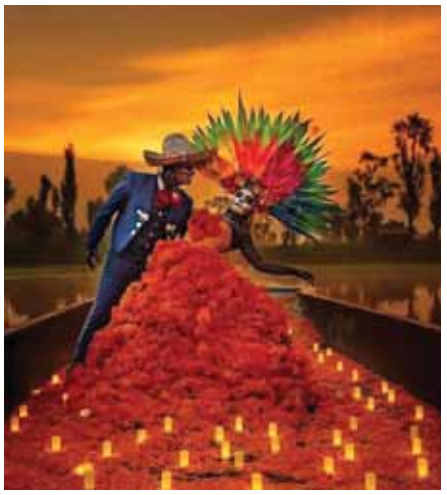

تحتفل المكسيك في الثاني من شهر نوفمبر من كل عام بيوم الموتى، وهو إحتفال يقابل يوم الهالوين في أمريكا، ومع أنه يتم في نفس الأسبوع، لكنه يخالف الهالبوين في اليوم، ويفوقه عمقا ومدى في التأريخ الإنساني لأمريكا الشمالية وجنوبها المكسيكي اللاتيني.
تُزّين الطرقات التي تؤدي إلى المقبرة في المدن والقرى المكسيكية بباقات من وردة "السيمبا سوشيل" البرتقالية اللون والدائرية الشكل، وتضاء الشوارع بالشموع الصغيرة، فحسب المعتقد القديم لسكان المكسيك الأصليين فإن رائحة هذه الوردة و ضوء الشمع يساعدان أرواح الراحلين في الوصول الى بيوت الأحبة من الأحياء في هذه الليلة من العام، ليجتمع الشمل ويقضي الجميع، الأحياء والأموات، ساعات الليل في سمر وأنس تحت سماء هذه الليلة المباركة، التي تستقبل العائلات فيها أرواح الأحبة القادمة من "ما وراء الموت" بمحراب تنصبه في باحات البيوت وصالات الإستقبال، توضع فيه صور الأحبة الراحلين و شموع صغيرة وقطعاً من خبز النذور يسمى "خبز الموتى"، المصنوع في البيوت، وهو خبز دائري مزين برسم من العجين لعظمتين متقاطعتين وقطع الفاكهة و الحبوب التي كان يحب تناولها كل راحل من أفراد العائلة
يجتمع أفرد العائلة الأحياء في تلك الليلة في باحة المنزل أو صالة الإستقبال يتلون الصلوات القديمة لروح الموتى القادمين للزيارة، ويحتسون المشروبات التقليدية، يتسامرون وهم يتذكرون الأيام الخوالي حينما كان الكل حاضراً جسداً و روحاً، وكان البيت مكتمل العدد، ثم يذهبون بعدها الى المقبرة التي تتحول، بدورها، إلى مهرجان من اللون البرتقالي لزهرة "السيمباسوشيل" وتبادلات من الضوء والظلال الذي تنتجه الشموع الصغيرة في كل ركن من زوايا القبور.
يلتف الأحياء حول قبور الموتى وهم يتلون الصلوات والأدعية الموروثة ثم يبدأون في قصّ ما دار من أحداث مهمة في هذا العام على أسماع الأرواح الحاضرة للموتي وأجسادهم الراقدة في تراب الأبدية، ثم يلجأون إلى دقائق من الصمت يستشعرون فيها ردود الأرواح الحبيبة المحلقة حولهم على ما سردوه لها من أحداث هذا العام، يستشعرون ملاحظاتهم ووصاياهم، يضعون أياديهم على صدورهم بوعد من أعماق القلب بالإستفادة من الملحوظة و العمل بالوصية.
تنقضي الليلة وقد ملأت السكينة والتسليم بالمكتوب نفوس الأحبة الأحياء، وعادت الأرواح الراحلة الى سماواتها بعد أن إبتلت الأشواق و ثبت الحب. تنقضي الليلة بيوم جديد تعمّ فيه شوارع المدن المكسيكية وقراها إحتفالات راقصة و إستعراضات شعبية يتجمهر حولها الناس من كل حدب وصوب، ليشاهدوا هذا العرس الباهر الذي يخلد فيه الأحياء ذكرى الموتى بشخصيات فولكلورية جاءت من عمق الأسطورة الشعبية أو من الفن الجداري، وشكلت رموز ليوم الموتى الذي يلي ليلة الموتى.
من أهم هذه الرموز رمز "العروس الباكية" و رمز "الكاترينا والكاترين". الأول يعود الى قصة حب جمعت بين شاب من شعب سابوتيكا في مقاطعة تهوانتيبيك كان قد ذهب الى حفل شعب مجاور يدعى خوشتيتان وبينما كان يسير على الطريق بجوار الكنيسة رأى فتاة جميلة تخرج منها ترتدي اللباس التقليدي الشهير "هويبيل" فوقع في حبها على الفور. عانى الشاب الأمرين حتى نال حب الفتاة وموافقة أبويها على زواجه منها و لم يكد بيت الزوجية أن يجمع العروسين العاشقين حتى هبت رياح الثورة الشعبية في إقليم اوكاسانا، والتي غيرت من مخططات الشاب وقبل ذهابه للحرب وهو يودع عروسه إنهمرت الدموع من عينيها على خديها في بكاء مرير لفراق عريسها الحبيب فينادها الشاب بتحبب وهو يمسك كفها بإحدى كفيه ويمسح بالأخرى الدمع من على خديها وعينيها "أيتها الباكية"، واعداً إياها بأن يعود ويظل يحبها في هذه الحياة وبعد الممات، وبدورها تعده بأن تظل بإنتظاره مهما حدث. لكن الشاب لم يعد و بعد أشهر عاد صديقه من الحرب وهو يحمل خبر وفاة العريس العاشق وخطاب به قصيدة وداع كتبها لحبيبته أصبحت اليوم كلمات أغنية من أشهر أغاني كرنفال يوم الموتى تقول

فائزة مصطفى

كلماتها، التي ترجمتها عن الإسبانية:
«أيتها الباكية / يا من خرجت من المعبد عندما كنت أسير في طريقي/ ترتدين "هويبيل" جميل، أيتها الباكية، التي أنشأتك العذراء/ في السماء وُلدت الشمس/ وفي البحر وُلد القمر/ وفي قلبي وُلد حبك الذي لا يشبه حب أحد/ أتخلى عن حياتي ولا أتخلى عن حبك/ آه باكيتي!/ أيتها الباكية، يطلبون مني التخلي عن حبك/ لكن مستحيل أن أترك حبك/ لا تظنين عندما أغنيك/ أن قلبي سعيد/ للألم أيضاً يغنون، عندما يكون البكاء ممنوع/ لا تبكي، إحتفلي أيتها الباكية، أنتظرك في المدى كل فجر جديد".
اليوم تسير في شوارع المكسيك يوم الموتى إستعراضات كرنفالية تضمن العشرات من الفتيات اللواتي يرتدين زي عروس وطرحة زفاف، وقد لوّن وجوههن بطلاء أبيض شاحب ورسمن على خدودهن دموع يجسّدن شخصية « لباكية» مخلدات قصة الحب التي هزمت السنوات والموت.
أما رمز"الكاترينا و الكاترين" فيعود الى رسام الجداريات المكسيكي الشهير"ديغو ريفييرا" زوج الرسامة الشهيرة أيضا "فريدا كالو"، في نقده الإجتماعي لبعض المكسيكيين الذين تنكروا لأصولهم محاولين تقليد الأوروبين بأن تركوا زراعة وبيع الذرة الذي هو الطعام الأساسي للشعوب الأصلية من سكان أمريكا اللاتنية وامتهنوا زراعة وبيع الحمص الذي هو الطعام الأساسي للأوروبيين من الإسبان والفرنسيين، حيث رسم ديغبيو ريفييرا لوحة جدارية لفتاة من السكان الأصليين رغم نحافتها وعظام وجهها الظاهرة وملامحها السمراء الهندية ترتدي فستان أوروبي وقبعة فرنسية وسماها "لا قرابانسيرا"، وتعني بائعة الحمص، وبمرور الوقت شاع على هذه الشخصية إسم كاترينا وتمّت إضافة شخصية ذكورية لها تشبهها في الملامح والزي وسميت بـ «كاترين».
يسير اليوم في الاستعراض الكرنفالي ليوم الموتى العشرات من الشبان والشابات وهم يرتدون زي كاترين وكاترينا راسمين على وجوههم جمجمة بفم مخيط ويرتدون قبعات فرنسية وبدلات أوروبية من القرن الثامن عشر.
يوم الموتى في المكسيك يشكل نظرة مغايرة للموت ومعناه وينفي فكرة الفراق الأبدي فالموتى باقون في قلوب الأحياء وتحوم أرواحهم حولهم، و كل عام لهم موعد مضروب يعودون فيه للقاء بأحبائهم روحا مستشعرة و جسدا حاضرا و إن كان غير مرئي، كأن المكسيكي بنا علاقة خاصة مع الموت خيّر من عبر عنها هو الكاتب المكسيكي الحائز على جائزة نوبل للسلام أوكتافيو باث الذي قمتُ بترجمة كلماته عن هذه العلاقة من كتابه "متاهة الوحدة" في السطور التالية:
«الموت هو الكلمة التي لا يجب نطقها أبداً لأنها تحرق الشفاه، المكسيكي في المقابل يقولها بشكل دائم، يسخر بها، يداعبها، ينام معها، يحتفل بها، هي إحدى ألعابه الأثيرة وحبه الأكثر ديمومة. صحيح أنه في سلوك المكسيكي تجاه الموت هناك بعض الخوف مثلما يحدث مع الآخرين، على الأقل هو يخفي خوفه ولا يخبئ من الموت، يتأمل الموت وجها لوجه بعجلة، بسخرية أو إحتقار،
«إذا كانو سيقتلوني غدا فليقتلوني مرة وينتهي الأمر. اللامبالاة التي يبديها المكسيكي تجاه الموت تعود إلى عدم مبالاته بالحياة".

يــوم فــي زمـــن الحـــرب

سوسن دهنيم

تستيقظ من نومك القلق، وقبل أن تفتح الأنوار تهرع إلى هاتفك مثل واجب يومي اضطراري.

تتصفح الأخبار بحثاً عن خبر انتصار أو دلائل عليه، لكنك تجد أخبار الموت والدمار تفوق ذلك بكثير.

تغلق هاتفك وتبدأ يومك بتنهيدة تجعلك لا تلتفت إلا لغيرك؛ لأن كل ما تعانيه أو ستعانيه لا يشكل قطرة في بحر هؤلاء الثكالى والمتضررين في دول اعتادت الحروب حتى ظنتها جزءاً من الواقع الطبيعي.

تفكر: ما الذي يحدث لعالم بات فيه المظلوم لا يُرى وكأنه يرتدي «طاقية الإخفاء»؟

كيف انتهينا إلى رؤية الموتى بكل هذا الدم البارد وكأنه أمر معتاد؟

الأطفال الذين لا يمتلكون كسرة خبز، بعد أن هُجّروا من بيوتهم الآمنة وصاروا يفترشون العراء أو أولئك الذين يسيرون بلا هدى ولا رفيق بعد أن قُتل آباؤهم وصاروا كورقة تصارع قسوة الخريف خشية أن تسقط هي الأخرى.

الكهل الذي لا يجد ابناً يسند جسده المرهق عليه كلما فكر في مشي أو قضاء حاجة أو هرب من عدو.

المرأة الحبلى التي لا تجد أدوية تقيها التعب ولا طعام يوفر لها ولجنينها احتياجاتهما وتفكر في اليوم عشرات المرات عن مصيرهما حين تحين الولادة، فلا مستشفيات صالحة ولا مكان آمن ولا مواد طبية متوفرة ولا حتى ماء غير ملوث.

الأب الذي يرى في كل الأطفال وجه أطفاله الذين قتلوا أو ربما أحرقوا أحياء ولم يعد يستطيع سماع كلمة بابا.

الشاب الذي يحمل حقيبة كتبه أينما رحل أملا في أن تعود جامعته يوماً ما ويستطيع تحقيق حلمه في أن يصبح طبيباً يعالج كل المرضى والمجروحين ممن لم يتسن لهم الحصول على علاج مناسب.

الطفلة التي مازالت تحلم بدُماها التي دُفِنَت تحت الأنقاض بعد أن هُدم بيتها وبيوت جيرانها.

البلاد التي نهبت وهدمت آثارها وسرقت حضارتها وزور تاريخها .

تتذكر أن أضعف الإيمان هو الدعاء، فتصلي وترجو من الله رحمة وفرجاً عاجلاً، وقبل أن تقول آمين، تتنهد بعمق وكأن الأحلام باتت بعيدة المنال برغم وجود الأمل.

تعود ليومك وحياتك، لتتذكر أنك هنا في البلاد الآمنة بين أهلك وذويك منعماً بالخير، فتشعر بالخجل وكأنك ترتكب خيانة لكل هذه الشعوب.

ترى هل في فرحنا المؤقت وتناولنا لوجبة طعام فاخرة خيانة لكل القابعين تحت ضروس الحرب؟

سؤال لا نبتغي له جواباً فقد ألفنا تناقضاته.

كيف انتهينا إلى رؤية الموتى بكل هذا الدم البارد وكأنه أمر معتاد؟

هيباتيا أستاذة كلّ الأزمان

في رواية يوسف زيدان الشهيرة «عزازيل» الحائزة على عدة جوائز عالمية، برز إسم هيباتيا كعالمة رياضيات وفيلسوفة وفلكية مصرية وكواحدة من أبرز النساء في تاريخ الفلسفة والعلوم ومن أوائل النساء اللواتي برزن في تلك التخصصات. وإسم هيباتيا في اليونانية يعني السامية أو الأعلى مقاماً وهو مصداق لمعنى الاسم، وهو إسم على مسمى أي أن اسمها ملائم جداً لما تحمله صاحبته من صفات سامية، وقد ارتبط اسمها بالبحث العلمي والنزاهة الفكرية، كما تعدّ رمزاً للعلم والفكر الحر والشجاعة، وقد ألهمت الكثير من العلماء والفلاسفة على مر العصور، ومازالت تذكر باعتبارها أول عالمة رياضيات في التاريخ، وأول من برزت في الفلسفة والفلك بشكل واضح في عالم كان يسيطر عليه الرجال.

حميد الملا

ولدت في الإسكندرية وعاشت في الفترة (370–415) ولعب والدها دوراً كبيراً في تعليمها وتوجيهها. انتمت للمدرسة الأفلاطونية الجديدة، لكنّها طوّرت مفاهيمها إلى مجالات أخرى أكثر عمقاً وشمولاً، حيث طوّرت الأسطرلاب، وهو جهاز يستخدم لرصد النجوم والكواكب، كما ساهمت في تطوير طرق لحل المعادلات واستخدمت طرقاً جديدة في الهندسة والمجالات الرياضية الأخرى واستكملت أعمال إقليدس وأبولونيوس.

كانت مدّرسة شهيرة تجمع الطلاب من جميع أنحاء الإمبراطورية الرومانية لتدريسهم فلسفة افلاطون وأرسطو، بالإضافة لعلم الفلك والرياضيات، وكانت تدعو إلى استخدام العقل والتفكير النقدي، وسعت إلى نشر المعرفة والتنوير، ووصفها يوسف زيدان «بأنها ابنة العلاّمة ثيون، الأستاذ الفيثاغورثي. هي امرأة مشهورة، جميلة وذكية»، كانت تلقي محاضراتها بالمسرح الذي الواقع في قلب مدينة الإسكندرية أيام الآحاد، وقد تخصصت في علم الرياضيات والفلسفة والفلك ووصفت باستاذة الزمان، أما ابوها فقد كان يُلقي دروسه في المعبد الكبير السيرابيون عند الحي المصري جنوبي المدينة.

يصف زيدان المكان الذي تلقي فيه محاضراتها بأنه «قاعة كبيرة كائنةٌ في الجهة الغربية من المسرح وليست جزءاً منه، وإنما تحوطهما حديقة واحدة. جمهور المحاضرة كبير وفيه نساء، عندما ترتقي المنصة تقف كالحلم أمام الجمهور المتشوق وكله آذانٍ صاغية لسماع محاضرتها. «هيباتيا امرأة وقور وجميلة، بل هي جميلة جداً. أو لعلها أجمل امرأة في الكون. كان عُمرها في حدود الأربعين، وكان أنفها جميلاً جداً وفمها، وصوتها، وشعرها، وعيناها .. كل ما فيها، كان أبهى من كل ما فيها. ولما تكلمت زاد بهاؤها ألقاً".

اشتغلت بالعلم منذ الصغر على يد أبيها وقد ساعدته وهي بعد مراهقة في شروحه التي دوّنها على أعمال كلوديوس بطليموس صاحب كتاب الجغرافيا، والكتاب الكبير في الفلك للمجسطي كما يذكر لنا ذلك يوسف زيدان في روايته الجميلة تلك. كانت تشرح دروسها بلغة يونانية راقية، وتقرر بأن «الحقائق التي نصل إليها بالمنطق وبالرياضيات، إن لم نستشعرها بأرواحنا فسوف تظلّ حقائق باردة، أو نظلّ نحن قاصرين عن إدراك روعة إدراكنا لها». وفي معرض استعراضه لقوّة شخصية هيباتيا يقول "كأنها كائن سماوي هبط إلى الأرض من الخيال الإلهي ليبشّر الناس بخبر ربانيّ رحيم "ليشبهها بيسوع المسيح»، جامعة بين الرقّة والجلال .. في عينيها زرقة خفيفة ورمادية، وفيها شفافية، في جبهتها اتساع ونور سماوي، وفي ثوبها الهفهاف ووقفتها، وقار يماثل ما يحف بالآلهة من بهاء». كم هي جميلة ودقيقة عبارات زيدان في توصيفه لهذه العالمة التي ظُلمت من قبل متطرفي الديانة المسيحية، قُتلت بوحشية على يد غوغاء من المتعصبين الدينيين في الإسكندرية وعلى رأسهم بطرس القارئ بعد أن أخرج من تحت ردائه الكنسي سكيناً طويلاً صدئاً، امتدت نحوها «يده الناهشةُ وأيد أُخرى، ناهشةُ أيضاً صارت كانها ترتقي نحو السحاب فوق أذرعهم المشرعة، وبدأ الرعب في وضح النهار». سُحبت من شعرها وهي عارية في وسط الشارع وتمّ سحلها، قشّروا بالأصداف جلدها عن لحمها وألقهوها فوق كومة كبيرة من الخشب، وبعدما صارت جثة هامدة .. ثم أشعلوا النار لتموت ميتةً مأساوية.

كانت علاقتها مع الحاكم الروماني للإسكندرية، أوريستيس وموقفها من الأسقف كيرلس الأول محوراً للصراع. كما أن نفوذها الفكري والسياسي جعلها هدفاً لسلطات الكنيسة وتسبب في مقتلها. وما حدث لهذه العالمة الجليلة أستاذة الزمان ، النقية، القديسة والتي هي واحدة من أبرز الشخصيات العلمية والفلسفية في التاريخ القديم والتي هي أيضاً رمز للمعرفة والتنوير في القرن الرابع الميلادي من بشاعة قتلها يفوق التصور والخيال ويهز الضمير الإنساني، فكانت وفاتها نهاية للعصر الكلاسيكي وبداية للعصور الوسطى المظلمة. وعلى الرغم من مرور مئات السنين على وفاتها لا تزال هيباتيا رمزاً للعقلانية والعلم في مواجهة الجهل والتعصب الديني، فقد اتهموها بممارسة السحر، والوثنية والإلحاد والتسبب في أضطرابات دينية.

شخصية هيباتيا ألهمت العديد من الكتّاب والمؤرخين والفنانين عبر العصور، وتمثل قصتها تذكيراً بأهمية العلم في مواجهة الخرافات والجهل ، والتحذير من مخاطر التعصب، ولذا بقت رمزاً خالداً للمرأة التي استطاعت أن تتحدى القيود الاجتماعية في عصرها وتترك أثرا لا يُمحى في تاريخ العلم والفكر الإنساني وأصبحت إيقونة في الدفاع عن العلم في مواجهة الديني والسياسي.

ولنا في التاريخ اللاحق لمقتل هيباتيا أمثلة أبشع، فهناك العديد من العلماء والشعراء الذين انتهت حياتهم بطرق بشعة عبر التاريخ ومن أبرزهم الحلاج، الشاعر الصوفي والفيلسوف الذي أعدم في بغداد بسبب آرائه التي أعتبرت زندقة وكفر حيث تعرض للتعذيب قبل أن يُصلب وتقطع أطرافه، وكذا شهاب الدين السهروردي، الفيلسوف والشاعر، وقد كان من المتصوفة ومن فقهاء عصره في الدين والفلسفة والمنطق والحكمة، قُتل بأمر من السلطات في حلب بعد إتهامه بالزندقة بسبب أفكاره الفلسفية والدينية.

وكذا ابن المقفع، الكاتب والأديب الفارسي صاحب كتاب كليلة ودمنة، والذي عذب بطريقة بشعة حيث ألقي في النار حياً وغيرهم الكثير. هؤلاء وغيرهم يظهرون أن الفكر والإبداع والآراء المخالفة قد تثير العداء عندما تعتقد السلطات بأنها تتعارض مع الأعراف والآراء الدينية والسياسية السائدة في المجتمع.

كيف نفهم الغرب.. كيف يفهمنا الغرب؟ (١ - ٢)

(طه حسين وإدوارد سعيد مثالاً)

حسين آل الربيع

الثقافةُ تفاعلٌ فكريٌ مع المجتمع أشبه بالتفعلات الكيمائية، إما أن يكونَ التفاعلُ هادئاً تتداخل فيه المكونات الأساسية مع العناصر المضافة بانسجام أو يكونَ حاداً تتداخل فيه المواد بصعوبةٍ وهستيريا أو قد تتنافر وتتشظّى. والغالب أن مسار الفكر الناقد يحتمل الوجهين، وليس الكلام –بطبيعة الحال– عن السلبي ولإيجابي إنما عن التمازج والربط والتأثير. نتحدث عن محاولتينِ مختلفتينِ بشكلٍ جذري في التعاطي مع المجتمع وعن مستوى فهمه وفهم قضاياه الوجودية وتفهّم تحفظاته، عن قامتين كبيرتين مؤثرتين في الثقافة العربية «طه حسين» و«إدوارد سعيد» والتعاطي معهما في هذه المقالة سيكون مقتصراً على التأثير السوسيولجي (الإجتماعي) من باب التأثيرِ والتأثّر.

في لحظةٍ أدركتِ النُّخَبُ العربيةِ مدى تأخر العرب والتقدم الأوروبيِ الكبيرِ وذلك عند مجيء الإستعمار الأوروربي وبداية اضمحلال الدولة العثمانية، عندها احتك العربي مباشرةً بالرجل الأبيض المدجج بالترَسانة التكنولوجيّة. وعندما عمل حاكم مصر «محمد علي باشا» منذ مطلع القرن التاسع عشر على إرسال بعثات للتعرف على الحضارة الأوروبية والدراسة في أهم جامعاتهم – والكثير من البعثات أُرسلت الى جامعة السوربون في باريس –، حدث عند هذه النخَب شيء أشبه بالدّهشةِ أو الصدمة عندما شاهدوا الفرق الهائل بين الحال في البلدانَ التي قصدوها التي ذهبوا إليها وحال بلدانهم التي تعاني التخلف والإستخفاف بواقع الأمور. كانت الحضارة الأوروبية في عواصمها آسرةً بكل مافيها، من ناحية الإدارة والتنظيم والتطور التقني والإجتماعي. وجدَت النخب الثقافية والفكرية في هذه الحضارة المثالَ الأكملَ لكل ماتعنيه كلمة حضارة، ولكنهم في سكرة الإنتشاء والإنبهار لم يهتموا كثيراً الى الدور الخطير الذي كان يمارِسُهُ الإستعمار الغربي في بلدانهم العربية من عنصريةٍ وخبثٍ ودهاءٍ وهو ماكانت تعانيه طبقاتُ المجتمع بمختلفِ أطيافِه، لذلك، بينما النخبُ القادمةُ من الغربَ الأوروبيِ مبهورةً ومتحمّسةً لتطبيقِ النموذج الغربي كان المجتمعُ والنخبُ الأهليةُ تعاني من وطأةِ الإستعمار الأوروبي ذاته، الأمر الذي تسبّبَ في تناقضاتٍ إشكاليّةٍ كبيرة أدّت الى تباعد النخب الثقافية التي تتبنى الأفكار اللّيبرالية الحداثية عن واقع المجتمع وهمومه، وتباعَدَ المجتمعُ عنها.

تبنّى «طه حسين» النموذج الأوروبي الليبرالي والمنهج الديكارتي، ولتميزه في الأدب والتاريخ الإسلامي حاولَ تطبيق المنهج الديكارتي على الشعر العربي وأزمنةِ ماقبلَ الإسلام المعروفة بالعصرِ الجاهلي وهي واحدةٌ من أكثر الدراسات العربية إشكاليةً مثيرةً للجدل الطويل. يقوم المنهج الديكارتي على الشَكِ في كل اليقينيات العقلية بهدفِ إعادة بناء الفكر والوصول الى معرفةٍ يقينية، شَكَّ ديكارتَ في كل التصورات الحسية التي تنعكس على الإستنتاجات العقلية إلا أنه أبقى على العقل الإدراكي الذي سيتيح له معرفة كينونتهِ وإثباتِ وجوده (أنا أفكر إذن أنا موجود)، أو بعبارة أخرَى ما دمتُ قادراً على التفكير فأنا موجود صيغةُ الوجودِ هنا مرتبطةٌ بالوجودِ الواعي الفاعل.

طه حسين

لا يُخفى أن أبي حامد الغزّالي قد نظّر لفلسفة الشك بهدف الوصول الى معرفة يقينية في القرن القرن الثاني عشر أي قبلَ خمسةِ قرونٍ من مَولدِ ديكارت القرن السابع عشر، والغزّالي كان قدَّ شك في كل المُسلّمات العقليةِ وتأمَّلَ انعكاساتِها على استنتاجات وتصورات الإنسان، بدأ بالشك في المحسوسات؛ مثلاً: الثقة بحاسّة البصَر في تعاملها مع الظل أو طول وقصر الشجرة مقارنةً بالمسافة، ثم وجد أن العقليات غير يقينية فعرّضها للشك من قبيل مايأتي في المنام من حلم أشبه باليقظة، حتى وصل الى الشك في الضروريات العقلية وهي استكمالاً للعقلياتِ وتُعرف أيضاً بالأحكام القَبْليّة؛ منها مثلاً استحالة جمعِ النقيضينِ وأن الجزءَ لايتضمّنُ الكل... ووصل الى ذِروة الشك حينَ بدأ

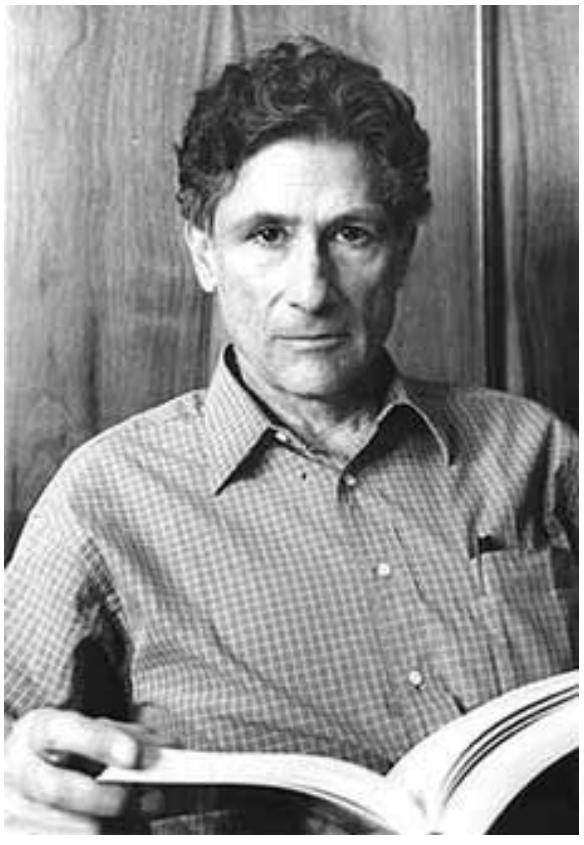

إدوارد سعيد

يتأمل في الوجود برمته؛ لعل كلَّ مانراه ونتصوره خيالٌ أشبه بالحلم – وهو هنا تعدى ديكارت في حالة الشك – إلا أنه عاد عن ذلك لا عن طريق البرهان العقلي وإنما بواسطة الكشف الصوفي، وعلّلَ عودته بأن هذه الضرورات أعمدةُ العقل تحفظه حتى لاينهار، يقول الإمام الغزّالي:»وعادت النّفْسُ الى الصِّحةِ والإعتدال، ورجعَت الضروريات العقليةُ مقبولةً موثوقاً بها على أمنٍ ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام بل بنورٍ قذفه الله تعالى في الصدر؛ وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارِف، فمن ظَنَّ أنّ الكشْفَ موقوفٌ على الأدلّة المحرِّرة فقد ضيّقَ رحمة الله تعالى الواسعة» (المنقذ من الضَلال).

للحديث تتمة في العدد القادم.

التأثير العاطفي لتجربة زيارة المكان في نصوص محمد فاضل

حينما يزور القارىء المكان المتعلق بالنصوص التي قرأها، تصبح تلك التجربة من أكثر التجارب العاطفية التي تلامسه، حيث يمنحك المكان إحساساً بالانغماس العميق، فتكون جزءاً من القصة، تعيشها وكأنك أحد أبطالها. تصبح التفاصيل وسيلة للسفر عبر الخيال، فتشعربدفء المكان وكأنك على ذلك المسرح قد عشت مع البطل أحداثه اليومية.

المكان في الرواية ليس مجرد خلفية للأحداث، بل هو عنصر أساسي يؤثر في تطور الشخصيات وحبكة القصة.

يمكن أن يكون المكان حاملاً للرموز، أو يُعزز الأجواء، أو يُضيف بُعداً تاريخياً وثقافياً. إنه يربط القارئ بالعالم الذي ابتكره الكاتب ويجعله يُحس بواقعية الأحداث. للمحرق نكهتها الخاصة، تكاد تمسك بحكايتك في كل زقاق "داعوس" تشعر بألفة كبيرة، وكأنك عشت عمرك هناك، للمحرق طابع خاص يجذب الروح.

فاطمة محسن

أحبّ المحرق ربما لارتباطي العاطفي بهذا المكان، فوالدي كان يعمل هناك وقد أحبّ المحرق، وأحبّ ناسها وكم تمنى أن ينتقل للعيش هناك، لولا رفض والدتي المتشبعة بحبّ المنامة. كانت جولتنا في المحرق مع الأستاذ محمد فاضل العبيدلي جولة ممتعة لم يفوت فيها الأستاذ محمد التفاصيل الدقيقة والمهمة، طاف بنا في المكان باسلوب شيّق، وهو يحدثنا عن الأماكن وأبطالها.

نزلنا بالقرب من بيت التاجر يوسف فخرو، كان أول مكان نقصده في هذه الجولة، بيت من البيوت القديمة تتوسطة أربع نخلات متصلات ببعضهما البعض، دخلنا البيت حيث غرفه الكثيرة وبناءه الرائع. غرفة يوسف فخرو الكبيرة المزدانة بنوافذها الكثيرة والجميلة. في إحدى الغرف، وجدنا سفينة كبيرة معروضة، إشارة إلى اهتمام فخرو بصناعة السفن كونه تاجراً للخشب.

من هناك، تحركنا شرقاً ثم عرجنا على زقاق جهة اليسار وتوقفنا عند مسجد مشاري، هذا المسجد الذي تتعاقب أزمنة نص طيور الليل البيضاء الثلاثة حوله وأمامه وبقربه.

بعدها رجعنا للشارع العام، "شارع الشيخ عبدالله بن حمد" مرورا ببيت المؤلف هذا البيت الذي ارتبط بكل نصوص الكتاب، وخاصة نص «كردم» حيث يأخذنا البيت "للدكة" القريبة منه وهي درجات سلم لأحد المحلات التجارية في ذلك الحي وهذه الدكة قريبة من شقة القابلة الشهيرة "أم جان" التي قال عنها الكاتب:»هذه الدكة تصبح أشبه بالمنتدى الذي يحجّ إليه خليط متنوع من شباب الحي، مثقفين وأميين، موظفين محترمين ومدمني مخدرات. حتى أولئك الذين لا يشاهدون في الحي طيلة العام، أصبحوا حريصين على حضور هذا التجمع الصغير الذي بات إلى حد ما الرابطة الوحيدة التي تجعل أبناء الحي يشعرون بأن حيهم القديم مازال قائما على نحو ما.»

كان بيت كردم باتجاه الشرق في زقاق إلى اليمين، بيت صغير ومغلق بابه مغلف بقطعة من الحديد ما نسميه "بالجينكو". هذه القطعة كانت تخفي هوية البيت وتضفي عليه شيء من الوحشة. كم تمنيت أن أرى الباب فالأبواب تتكلم عن أصحابها، الأبواب وجه البيت وابتسامته

تعرفنا صدفة على جارته سميرة التي دعتنا لبيتها بقلب ينبض طيبة ومحبة، دخلنا ذلك البيت فاستقبلتنا شجرة الرازقي، بيت يحمل كل عبق الماضي، كلمتنا عن كردم وكرم أخلاقه وكأنها شاهد عيان يؤكد ماكتبه الأستاذ محمد.

وقفنا في ذلك الزقاق حيث وقف كردم ليلة العزاء مع كلبه:

«ظهر بوحسن من زقاق صغير وهو يترنح ويجر كلباً أبيض اللون بحبل طويل لفّه على يده»

بعدها وقفنا في تقاطع الشارع جنب بيت مراد حيث يقف الناس لمشاهدة العزاء، ومنه إلى مسجد القصاصيب حيث أجواء نصين من نصوص المجموعة وهما نص «موت واحد وموعد مؤجل وبينهما طفلتان»، ثم أشار لنا الكاتب على البيت الثاني وأخبرنا بأنه مرتبط بنص «حيث نخلة هيفاء تطاول السماء غرورًا».

مررنا بجامع الشيخ حمد بالقرب من بيت جمشير وبيت عبدالملك لارتباطه بالمشهد الأخير من نص طيور الليل البيضاء الذي يتحدث عن استشهاد أحد الشباب في تظاهرات عام 1965، بيت بن عون وهو بيت جد الكاتب الراحل فريد رمضان

كانت الجولة تجربة فريدة، تنقلنا خلالها بين صفحات الرواية وواقع المحرق، حيث تأخذك الأماكن لتحيا مع النصوص وكأنها جزء من ذاكرتك. كل زاوية، كل زقاق، يحمل قصصاً تنبض بالحياة، تجعل من المحرق مكاناً مميزاً في الأدب والحياة على حدٍ سواء.

انضم إلى إحدى الكنائس وتحوَّلَ بإغواء سحره إلى «الأب ألبرتو»، القسيس الذي يسكب دفء كلامه ورقة ألفاظه ونصحه على الناس

الأب ألبـــرتـــو

منذ القرن الرابع عشر، كتب الإيطالي «جيوفاني بوكاشيو» حزمة كبيرة من القصص القصيرة وجمعها في كتاب بعنوان (ديكاميرون). حوى الكتاب زخماً متنوعاً من الحكايا والتشويق ووفر رصيداً هائلاً من الفكر والخُلق والوجدان يشبه إلى حدٍ ما قصص كليلة ودمنة، وبفضل الترجمة التي عنت بروائع الأدب العالمي انتشرت قصص جيوفاني وأصبحت كأنها ألف ليلة وليلة الإيطالية!

ولأنني أحب القصص القصيرة، استحوذ الكتاب على شيءٍ من اهتمامي وشغفي، فهذا النوع من القصص يكتبه الكاتب بعمقٍ مفرط، وإما أن يكون خالداً أو عابراً، قد يطغى جمال الأسلوب على ضعف الفكرة أو قد تغلب جاذبية الفكرة هشاشة الأسلوب.

بالقرب من ديكاميرون رسخت قصة في جمجتي تحت عنوان (جبرائيل)، تحكي القصة حكاية رجل مزدري الخُلق وممتلئ بالخُبث، حتى أنه لفرط نفاقه صار منبوذاً من الجميع، ونتيجةً لذلك قرر أن يهاجر إلى فينسيا وينسج حيلة جديدة في النصب حيث يسعفه هناك جهل الناس به.

انضم إلى إحدى الكنائس وتحوَّلَ بإغواء سحره إلى «الأب ألبرتو»، القسيس الذي يسكب دفء كلامه ورقة ألفاظه ونصحه على الناس ويؤمر بالفضائل وينهى عن الرذائل بصرامة شديدة.

كان القناع الذي أخذه هذا الرجل قد أقنع الكثيرين، فصاروا يتهافتون عليه ويقرّون له بذنوبهم واعترافاتهم. وفي ذات مساء، ذهبت بعض زوجات كبار الشخصيات للاعتراف أمامه. جاء دور سيدة جميلة، اسمها «ليزتا»، فقالت بإصرار فاتن: لا أعترف إلا بهنات صغيرة يرفض الملائكة تقييدها في حساب السيئات. تفحصَ ألبرتو ملامحها وقلبه يخفق وقال مدّعياً الرصانة- أليس لديكِ عشيق؟ غضبت ليزتا وقالت: لا! ألا تملك عينان.. هل ثمة رجل على هذه الأرض يستحق أن يكون عشيقاً لهذا الجمال؟ وتابعت بثقة: جمالي لا يستحقه إلا الملائكة. ذهل ألبرتو لحماقة غرور ليزتا ولكنه أيضاً هام بحسنها، فذهب إليها بعد أيام قليلة وجثى على ركبتيه وقال بصوتٍ مبحوح والدموع تنسكب على وجنتيه: أتوسلكِ سيدتي، سامحيني. سألت ليزتا باستغراب عن سبب ذلك، فقال: لقد تجرأتُ وأهنت جمالكِ الملائكي! الأمر الذي حمَّلَني عقاباً مبرحاً في ذات الليلة، وأتى غرفتي نوراً متوهجاً خرج منه شابٌ وسيم انهال علي ضرباً بعصا غليظة وعندما سألته عن سبب هذا العقاب المُفاجئ، أخبرني بأني أهنت جمالكِ عندما توقعت أنه قد يكون من نصيب أحدٍ ما من هذه الأرض، وصرَّحَ بحبه الشديد لكِ بعد الله، فسألته بارتعاب: مَن أنتَ يا سيدي؟ فأخبرني بأنه الملاك جبرائيل! تنهدت ليزتا تنهيدة ارتياح مسموعة: يااااااه، جبرائيل! إني أحبّه كثيراً وأوقد له الشموع كلما ذهبت للكنيسة. وقالت بغنج مغرور: ألم أقل لك أن جمالي للملائكة!؟ فأجاب «نعم سيدتي، اغفري لي خطيئتي، وسأبوح لكِ بسرٍ أودعني إياه جبرائيل.

–قل.. غفرت لك!

–إنه يشتاق لكِ كثيراً، ويتمنى لقياكِ في كل ليلة..

قالت بسرعة: دعه يأتي وقت يشاء.

قال بدهاء ثعلب: إنكِ محظوظة يا سيدتي! بل محظوظة كثيراً، ولكن حضرته لا يستطيع أن يجتمع بكِ لأنه خُلِقَ من نور في حين أنكِ خُلِقْتِ من طين! ولذلك فهو مضطرٌ لئن يستوطن جسد آدمي حتى يلقاكِ ويمنحكِ اختيار أي جسدٍ تحبين.

قالت ليزتا: ليس مهم، المهم أنه يحبني.. أمم أترك لك الخيار.

قال في توسل: أرجوكِ سيدتي أن تقبلي أن يحل في جسدي.. لأن ذلك سيوهب ليلي ساعات هانئة في الجنة وراحة غامرة.. أرجوك.

وافقت ليزتا وغمرتها نشوة نصرٍ وزهو، وطلب منها ألبرتو ألا توصد بابها، بينما ذهب لأحد أصدقائه وأوصاه بإعداد ثوب ملاك أبيض اللون وعلى جانبيه جناحين من الريش! وذهب إليها وقضى معها ليالٍ طويلة أرضت رغبته.

ذهب لها بهيئة القسيس في أحد الصباحات يشكرها لأن السيد جبرائيل حل في جسده فتمتع في الجنة.

احتوى الغرور رأس الفاتنة الحمقاء، وذهبت تمارس تشاوفاً أنثوياً وتتباهى. حيث قالت لإحدى صديقاتها أن جمالها من نصيب رجلٍ ملائكي ولا جمالاً يقارن بجمالها. فقالت صاحبتها بفضول: من هو؟ قالت لها ليزتا بملء حنجرتها: جبرائيل. كتمت صاحبتها ضحكة ساخرة وقالت لباقي الصديقات حتى أشيع الخبر ووصل لرجال عائلة ليزتا، فتربصوا للرجل الغامض بجانب فراشها وعرف الجميع حيلة ألبرتو والملاك جبرائيل، وحُكم عليه بالسجن مدى الحياة.

كُتِبَت هذه القصة منذ فترة متوغلة في القدم، حاولت اختصارها ونقلها عبر سردي المتواضع، لا زلنا نكتشف الكثيرين ممن يلبسون أقنعة وينسجون الحيل لمآرب دنيئة وتحت ستار أخلاقي وديني ولا نعتبر.

بتول حميد

التقدمي

التقدمي العدد 205 ـ ديسمبر 2024 السنة 22 SDPA 499

رئيس التحرير: د. حسن مدن ـ مدير التحرير : فاضل الحليبي ـ سكرتير التحرير: عيسى الدرازي

يَترجرجُ
زمن البطولاتِ

عبدالحميد القائد

يَترجرجُ زمن البطولاتِ
كفانوسٍ معلق في الريح
يعبره الغريبٌ صاغرًا
إلى المدنِ المستباحة بالهزائم
وهي تزداد ملحًا وحَسَك
متارّجا بين حبال الاكتئاب
وهي تلتفُ حولَ طُرقاتهِ القَديمةِ
جاء زمنُ العزلةِ وهم ينشدُون
اغاني المُستسلمينَ للركوع
الياسمينُ كفّ عن الأريجِ

القصائدُ توقّفت عن الشعر
الكلماتُ اطلقت سيقانها
هاربةً من صفحات الكتب الأنيقة
الغيوم لم تتحوّل سحابًا
المطرُ فرَّ هاربًا من البلل

هذا زمانُ الملل
كيف نعبرُ هذا الوقت الصديء
محمّلين بهدايا ميتةٍ
ونحنُ ميّتون
نسيرُ بعيونٍ مفتوحةٍ
ننظرُ الدماءَ
ونغرقُ في بكاءٍ يُشبه

المواد التي تحمل أسماء كتابها لا تعبر بالضرورة عن رأي المنبر التقدمي ص. ب: 21461 ت: 17780007 Altaqadomi.bh@gmail.com